من مؤلفات ابن رجب الحنبلي

الذل والانكسار للعزيز الجبار

(الخشوع في الصلاة)

للإمام ابن رجب الحنبلي

(٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)

دراسة وتحقيق

يسري عبد الغني البسري

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق أبو العلا -

القاهرة - ت: ٧٦١١٩٦٢-٧٦١٨٥٩١ فاكس ٢٤٨٠٤٣

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية،

مكتبة الساعي

الرياض ت ٤٣٥٣٧٦٨ - فاكس، ٤٣٥٥٩٤٥
فرع جدة - تليفون، ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة - ت، ٣٢٣١٤٣٤
المدينة المنورة - ت، ٨٢٤٢٧٧٥

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

قَالَ تَعَالَى :

" إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ "

(الأنبياء ٩٠)

حـى عـلى الصـلاة
حـى عـلى الفـلاح

قال رسول الله ﷺ :

[بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان] ـ رواه البخارى .

إننا معشر المسلمين بحمد الله تعالى من خير الأمم الموحدة التى أخرجت للناس ، ولنا كتاب منزل نقدسه وهو القرآن الكريم ، ولنا شريعة إلهية وضعت لنا دستورًا ينظم حياتنا الدينية والأخلاقية والعمرانية ، ويقرر واجباتنا نحو الله عز وجل ، ويحدد علاقاتنا ومعاملاتنا فيما بيننا ، ويجعلنا محاسبين ومسئولين أمامه تعالى ، عما أمرنا به من تكاليف واضحة صريحة . جاء بها القرآن الكريم ، وبينتها سنة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام . وقد كانت أركان الإسلام الحنيف مطبقة أحسن تطبيق . وعلى أحسن صورة فى حياة السلف المعاصر لنبى الرحمة ﷺ .

ومن جاء بعدهم من المسلمين الذين كانوا أشد الناس حرصًا عليها وتمسكاً بها ، ولكن مع مرور الأيام والسنين أخذ المسلمون يتبدلون مع أحداث الزمان ، ويتغيرون مع تغير الدول والحكام ، وصار تمسكهم بشعائر دينهم على قدر ما يجدون فى نفوس حكامهم من غيرة على الدين وما فى طبيعة مجتمعاتهم ، من اتجاه نحو الصلاح أو الفساد ، أو من سير نحو الرقى أو الانحطاط .

واقعنا من المسئول عنه ؟

ونلحظ فى حياتنا الحاضرة آثاراً مؤسفة خلفتها لنا عهود مظلمة من عهود الاستعمار ومفاسده ، فأورثت بعض النفوس النفاق وضعف الإيمان الحقيقى وقلّ التدين ، وعدم المبالاة بأداء ما كتب علينا من فروض دينية ، ويستوى فى ذلك الكثير من المتعلمين وغير المتعلمين ، حتى أصبحت هذه الحالة ظاهرة ، لها خطرها فى كياننا الدينى كدولة تؤمن بالله تعالى ، وبرسوله الكريم ودينها الرسمى هو الإسلام ، والله سبحانه وتعالى ، حذرنا ضاربًا لنا الأمثلة لعلنا نتفكر ونتعقل بما حدث للأمم السالفة فقال فى كتابه العزيز : ﴿**ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [٥٣ : الأنفال] .

وأغلب الظن أن هذه الظاهرة يلمسها ويلحظها المسلمون ، لأنها متفشية فى أغلب شعوب أقطارهم الإسلامية ، ولا يغيب عنهم ضررها وسوء عواقبها ، وما أشك فى أننا نحن وإياهم لعلى خطر عظيم ، إذا لم نجب داعى الله الذى أوجب علينا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأنه لن يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله .

وهذا لا يمنعنا من أن نغتبط ونبارك تلك الصحوة الإسلامية المباركة التى نشهدها فى عالمنا الإسلامى فى هذه الحقبة من تاريخنا ، راجين لها الاستمرار وأن تؤتى أكلها بإذن الله ، على أن تحرص كل الحرص على الفهم الواعى للدين الإسلامى وأبعاده ، وأعماقه ، ومراميه ، وجوهره قبل عرضه ، داعين لها بأن يحميها الله العظيم من الدخلاء والمنافقين ، وأصحاب المنافع الشخصية ، والمتاجرين بها .

كتاب يخدم الهدف الإسلامى

وفى هذا الكتاب الذى أقدمه اليوم لعالم جليل من علماء الإسلام والفقه الحنبلى ألا وهو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، زين الدين ، جمال الدين أبو الفرج البغدادى ، ثم الدمشقى ، الشهير بابن رجب الحنبلى ـ لقب جده ـ الحافظ المحدث ، المؤلف ، المشهور بعنوان : (**الذل والإنكسار للعزيز الجبار**) أو «**الخشوع فى الصلاة**) ـ هذا الكتاب من يتأمله جيدا دعوة مخلصة بإلحاح ، ومناداة فى إصرار ، أن تكون ـ أيها المسلم ـ مجاهداً ومؤازراً فى مكافحة عادة ترك الصلاة ، ومعالجة مرض قلة التدين الذى تلمحه فى مجتمعنا ، الذى فشا وانتشر بين الناس بفعل هجمات : الصليبية ، والتبشيرية ، والاستعمار ، والشيوعية ، والصهيونية . ولكن لا نريد أى صلاة ، نريد صلاة خاشعة حقيقية ، فالخشوع فى الصلاة صفة من صفات المؤمنين الصادقين ، وقد قدم ابن رجب للخشوع بصفة عامة ، ثم تعرض لكيفية تحقيق الخشوع فى كل ركن من أركان الصلاة ، مما يجعل المسلم يقظاً واعياً ، مؤكداً من موضوع أن خشوع القلب يتبعه بالضرورة اللازمة خشوع الجوارح مما يعطى ملمحا إصلاحياً تربوياً هاماً نحن أحوج إليه فى عصرنا الحاضر .

إن هذا الكتاب الذى ندرسه ونحققه ونعلق عليه حافلٌ ـ دون مبالغة ـ بما يقنع المتردد ، ويردع المتعنت ، ويشبع طالب العلم والمعرفة بأمور دينه ، بل إنه يشبع ـ أكثر ـ الباحث عن الصفاء الروحى وكيفية الوصول إليه .

الحـــل ..

أننى أدعو كل مسلم دعوة صادقة للصلاة ، لأن الصلاة هى طريق الفلاح والخلاص ، الصلاة هى طريق الطهارة حساً ومعنى ، يجب علينا أن نعرف أحكامها وكيفيتها وكذلك جوهرها ولبها ، ومعنى معرفة الجوهر معرفة أركانها ، وشروطها ، وآدابها وأنواعها .

إنى أعلم أن التحدث عن ظاهرة قلة التدين أو فهم الدين فهمًا غير سليم موضوع حساس مثير للقيل والقال ، وكل مسلم مهما كانت منازعه ومشاربه سيتحمس ، ولو ظاهرًا لإسلامه ، ولكن ما قيمة هذا التحمس الصورى ، إذا لم نتدارك أفراد مجتمعنا بالحث على التمسك بالدين وأداء الصلوات فى أوقاتها ، إذ هناك فى الواقع المشاهد فى مجتمعنا مسلمون كثيرون لا يمتون للإسلام إلا بالاسم أو بشهادة الميلاد أو النشأة بين قوم يدعون الإسلام .

مسلمون والله أعلم !!

ـ **مسلمون** لا حصر لهم جهلاء لا يعرفون من الإسلام وأركانه وأحكامه شيئاً يذكر .

ـ **مسلمون** أدعياء من مللٍ ونحل ضالة يعرفون عن الإسلام ماليس منه .

ـ **مسلمون** عديدون أعمتهم المدنية الغربية عن حقائق دينهم، وسمّو مبادئه ، فهم لا يجدون فى أحكام دينهم إلا أنها أغلال تكبلهم ،

وموانع تحول دون انطلاقهم فى حرياتهم الآثمة .

وأمثال هؤلاء المسلمين لا يجدون فى أنفسهم رغبة فى أن يستمعوا إلى أى دعوة تدعوهم إلى التدين ، أو تحضهم على إقامة شعائر الدين ، وإذا واجههم أحد فى معرض الجد والنصح بشىء من سوء عملهم ، فمنهم من يستنكر ذلك استنكارًا مكتومًا مكبوتًا ، ومنهم من تأخذه العزة بالإثم ، إن كان واهى الإيمان ، سليط اللسان أن يقول :

- ما هذا التهجم والتدخل فى حريات الناس الشخصية ؟!
- وما هذا التشدد والتزمت فى دين الله ؟!
- وما هذا التأخر والجمود فى القرن العشرين الذى قارب على الانتهاء ؟
- وهل هناك إجبار وإكراه على إقامة الصلاة قسرًا ؟

وقد يعنفك أو يؤنبك بعضهم ويقول لك : وماذا يهمك إذا أنا صليت ، أو لم أصلِ ؟ أنا مسئول عن نفسى ، وأنت مسئول عن نفسك فقط ، لا حاجة بى إلى نصحك ووعظك ، فوجهه إلى نفسك !!

وقد يقول قائل لك: مالى وللصلاة ، فإن أكثر الذين نراهم يصلون ، يؤدون الفرض ، وينقبون الأرض فسادًا .

كلمــة حــق

ولا نقول لك جرب حظك ، وانصح من تشاء من أصدقائك الذين لا يصلون ولا يستحون ، واستمع إلى ما يقولون من جدل أو حجج أو تفنيد أو تأنيب . فلا تبتئس بما يقولون ، وتذكر قول الرسول ﷺ : «**لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا**

علمه ، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» .

ويعلم الله أننا لا نقصد من هذه الدعوة المخلصة لله ولرسوله ، سوى النصح وابتغاء مرضاة الله تعالى ، ولا نريد أن نعيب أفرادًا ، أو نجرح شعور جماعات ، أو ننقد أشخاصًا بعينهم لقلة تدينهم ، ولا نريد أن نخص أقوامًا أو طوائف أو هيئات بالذم أو القدح فى عقائدهم أو سلوكهم ، لأنهم يتركون الصلاة ، فهذا أبعد مايكون عن مقاصدنا وتفكيرنا ، لأنه ليس من مبادىء الإسلام ، ولا من خلق القرآن الحكيم أعمال التشهير أو التنديد أو الطعن فى أحوال الناس وسلوكهم ، وديننا القويم السمح رسم لنا طريق الدعوة إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالمنافسة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وبالدعاء وطلب الهداية للضالين ، فلقد كان محمد عليه الصلاة والسلام ، معلمنا الأول ، زعيمنا ومرشدنا ، وقدوتنا ، كان يلاقى من أهله وقومه المشركين والمعاندين أشد ألوان الإساءة والإيذاء ، ثم يقول وهو قائم بين يدى ربه: **«اللهم أهدى قومى فإنهم لا يعلمون»** ولكن بعد انتشار الإسلام لم يأمر الدين بالسكوت على المنكرات ، وكان من أظهر فضائل وخصائص الأمة الإسلامية أنها صارت كما صورها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس . تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله**﴾ [١١٠ : آل عمران]

وليست هذه الدعوة التى ندعوها هى أول دعوة إلى هذا القصد الدينى النبيل ، كما أنها لن تكون آخر دعوة من نوعها . بل إن الناس ماعاشوا سوف يستمعون إلى صوت الداعى إلى اتباع أوامر الشرع ، والحرص على فروض دينهم مثل حرصهم على صحتهم ومالهم ومتاعهم

أو أكثر ، والعمل مع العاملين على إحياء كتاب الله وسنة رسوله بالجهاد والصدق والإخلاص فى العمل .

حتى تقرعهم القوارع

وها نحن أولاء مازلنا نسمع كل يوم فى الإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية أصوات الواعظين من الخطباء والعلماء والأساتذة المتحدثين فى حقائق الدين ولزوم العمل بأصوله والتمسك بمبادئه الكريمة الأصيلة . واتباع ما جاء به القرآن الكريم . ونحن مازلنا نقرأ ما يكتبه العلماء والأدباء والمثقفون فى الصحف والمجلات والكتب من بحوث ودراسات دينية توجه الناس إلى ضرورة التفقه والتدين ظاهرًا وباطنًا ، وممارسة العبادات قولًا وعملًا ، ومن الناس من يسمع ويتعظ ، ويرجع إلى صوابه ؛ ويتبع نصح الناصحين ، ومنهم من يسمع ويتردد ، ولا يزال يتأرجح بين الحق والباطل ، ومنهم من لا يأبه ولا يبالى ، وهؤلاء لن يغيروا ما بأنفسهم إلا إذا قرعتهم القوارع ، ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم .

وكم نرى فى زماننا هذا حرمات من الإسلام تنتهك : نهب وسرقة واستباحة لأموال الناس من محدودى الدخل ، وللمال العام ، كذب وغش وخداع ونفاق وتزوير وتحايل ، متاجرة بالسموم لهدم الشباب من أجل أموال حرام لن تنفع فى الدنيا ولا فى الآخرة ، نرى صلوات تهمل ، نرى مساجد تهجر ، نرى شعائر تعطل ، نرى مسلمين وما هم بمسلمين للأسف الشديد !! فهل نسكت ونرضى ونستسلم على ما يحدث ؟!

لقد انتهكنا الحرمات وارتكبنا الرذائل ، واستفحلت مشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، لأننا بعدنا عن الله ، فضعف إيماننا ، وقل تديننا نحن أيضاً ، وانعدمت غيرتنا على دين الله تعالى .

إن الله يحب الذين يغارون على دينه وحرماته ، ويعملون صفوفًا متراصة فى تكوين جبهة قوية من الناصحين والمرشدين والدعاة والغيورين فى وجه المستهترين والغافلين عن ذكر الله ، وعن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

والآن وبعد هذه الكلمات استأذنك أيها القارىء المفضال ـ إلى أن تصاحبنى عبر الصفحات القادمة كى نقرأ معاً ماكتبه ابن رجب الحنبلى عن الخشوع فى الصلاة أو (الذل والإنكسار للعزيز الجبار)

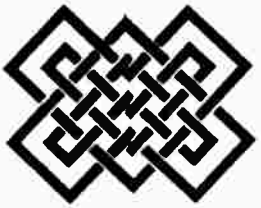

سيرة
ابن رجب الحنبلى

هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامى البغدادى ثم الدمشقى ، كنيته أبو الفرج ، أما لقبه فهو زين الدين ، وله لقب آخر أورده ابن العماد الحنبلى فى «**شذرات الذهب فى أخبار من ذهب**» هو «**جمال الدين**» .

ويعرف أيضاً بعبد الرحمن أحمد بن رجب ، زين الدين ، وجمال الدين أبو الفرج البغدادى ثم الدمشقى الشهير بابن رجب ـــ لقب جده ـــ الحافظ المحدث ، المؤلف ، المشهور .

المولـــد

كان مولد ابن رجب الحنبلى فى بغداد العباسية فى ربيع الأول عام ٧٣٦ هـ .

ويذهب ابن حجر العسقلانى فى درره الكامنة (٤٢٨/٢) ، ومعه إسماعيل باشا البغدادى صاحب كتاب «**هدية العارفين**» (٥٢٧/١) أن مولد ابن رجب الحنبلى كان فى عام ٧٠٦ هـ .

أما الزركلى فى الاعلام (٦٧/٤) فقد ذهب إلى أن مولده كان فى عام ٧٣٦ هـ .

وأعتقد أن ذلك هو الصواب ، فقد قال ابن العماد الحنبلى فى شذراته (٣٣٩/٦) أنه قدم من بغداد ـــ أى ابن رجب ـــ مع والده إلى دمشق السورية ، وهو صغير سنة ٧٤٤ هـ . فلو قلنا أن مولده

كان عام ٧٠٦ هـ فمعنى ذلك أن سنه عام ٧٤٤ هـ ـــ وهو عام قدومه على دمشق ـ سيكون ثمانية وثلاثون عاماً ، مما لا يتفق مع وصف ابن العماد له حينذاك ، ولذلك نرجح أن يكون مولده عام ٧٣٦ هـ أى عند دخوله دمشق عاصمة سوريا كان سنه حوالى ثمانى سنوات .

النشـأة وطـلب العـلم

قضى مؤلفنا ابن رجب الحنبلى فترة حياته الأولى ببغداد والتى امتدت ثمانى سنوات ، ثم غادرها وقدم دمشق مع والده شهاب الدين أحمد بن رجب عام (٧٤٤ هـ) حيث قضى حياته كلها إلى أن توفى فيها ودفن .

ولكنه كان قد ذهب إلى مكة ومصر المحروسة سعياً وراء العلم والمعرفة .

كان جد ابن رجب إمامًا محدثًا ، أما والده فقد أخذ بيده لحضور مجالس العلم فى دمشق ، حيث سمعاً معاً من الشيخ محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الخباز ، وكذلك من الشيخ إبراهيم بن داوود العطار .

وقد اشتغل ابن رجب بسماع الحديث الشريف باعتناء والده ، حتى أجازه ابن النقيب والنووى وهو غير النووى صاحب كتاب الاذكار لأنه توفى عام ٦٧٦ هـ أى قبل مولد ابن رجب بحوالى ٦٠ عاما .

وقد استمع ابن رجب الحنبلى إلى العلم فى مكة المكرمة على مجلس الشيخ الفخر عثمان بن يوسف .

وفى مصر المحروسة استمع إلى صدر الدين بن الفتح الميدومى، كما استمع إلى جماعة من أصحاب ابن البخارى ومن علماء مشهود لهم بالكفاءة والعلم .

كما قرأ بن رجب الحنبلى القرآن الكريم بالروايات كما أنه استمع إلى المشايخ وقرأ عليهم وأخذ منهم حتى بلغ من العلم درجة أنه خرج لنفسه مشيخة مفيدة .

ويقول ابن العماد الحنبلى: إنه كان للرجل ـ ابن رجب ـ مجالس علم أو مجالس تذكير للقلوب يحضرها الناس عامة ، هى مباركة نافعة ، ومالت القلوب بالمحبة إليه . [راجع : شذرات الذهب ٣٣٩/٦]

مؤلفات ابن رجب

من أهم مؤلفات ابن رجب المعروفة لنا :

١ ـ شرح جامع الترمذى .

٢ ـ شرح قطعة من البخارى وقد سمى شرحه «فتح البارى فى شرح البخارى» . وهو غير كتاب ابن حجر العسقلانى .

٣ ـ ذيل طبقات الحنابلة فى جزأين ، جعله ذيلاً على طبقات الأصحاب للقاضى أبى الحسين أبى يعلى الشهيد ، بدأ فيه بأصحاب القاضى أبى يعلى من وفيات سنة ٤٦٠ هـ ، وانتهى فيه إلى وفيات ٧٥١ هـ واشتمل على الترجمة لـ ٥٥٢ من علماء الحنابلة حسب طبقاتهم .

٤ ـ اللطائف فى وظائف الأيام ، بطريق الوعظ .

٥ ـ القواعد الفقهية يقع فى ٥٠٠ صفحة .

٦ ـ شرح الأربعين النووية .

٧ ـ كتاب أهوال القبور .
٨ ـ الكشف والبيان عن النذور والإيمان .
٩ ـ كفاية أو حماية الشام بمن فيها من الأعلام .
١٠ ـ البشارة العظمى فى أن حظ المؤمن من النار الحمى .
١١ ـ استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياح القدس .
١٢ ـ الاستطان فيما يعتصم به العبد من الشيطان .
١٣ ـ مورد الظمأن إلى معرفة فضائل القرآن وله مخطوطة نادرة (قمنا بتحقيقه لمكتبة القرآن الكريم) .
١٤ ـ نور الاقتباس من مشكاة وصية النبى ﷺ لابن عباس .
١٥ ـ القول العذاب فى تزوج أمهات أولاد الغياب .
١٦ ـ الكلام على لا إله إلا الله .
١٧ ـ صفة النار والتحذير من دار البوار .
١٨ ـ وقعة بدر .
١٩ ـ ذم الخمر .
٢٠ ـ مسألة الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وقبل الصلاة .
٢١ ـ شرح حديث (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً) .
٢٢ ـ الفرق بين النصيحة والتغيير .
٢٣ ـ العلم النافع وغيره .
٢٤ ـ ذم المال والجاه .
٢٥ ـ كشف الكربة فى وصف حال أهل الغربة (قمنا بتحقيقه لمكتبة القرآن بالقاهرة) .
٢٦ ـ اختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى .
٢٧ ـ نزهة الأسماع فى مسألة السماع واختيار الأولى
٢٨ ـ كتاب (الذل والإنكسار للعزيز الجبار) أو الخشوع فى

الصلاة وهو الذى بين أيدينا اليوم .

وأحب أن ألفت انتباه القارىء إلى أنه إذا أراد المزيد من المعلومات عن سيرة ابن رجب الحنبلى وعن رسائله ومؤلفاته ومصنفاته فعليه أن يعود إلى كتاب معجم المؤلفين لابن المبرد جمال الدين الذى ذكر فيه بالتفصيل التام أشهر مؤلفات العلماء الحنابلة وقمنا بتحقيقه لأول مرة (مكتبة القرآن)، كما أنه من الممكن أن يعود إلى الدراسة التى كتبناها عن ابن رجب ومؤلفاته فى تحقيقنا لكتابه (مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن) هذا. وقد توفى ابن رجب عام ٧٧٥هـ بعد حياة دامت ٥٩ عاماً، حفلت بالسعى فى طلب العلم والتدريس وتأليف الكتب .

منهجنـا فى التحقيـق

١ ــ اعتمدت فى تحقيق كتاب (الذل والإنكسار للعزيز الجبار) أو (الخشوع فى الصلاة) لابن رجب على نسخة مطبوعة قديمة محفوظة بدار الكتب المصرية ، تم طبعها بالمطبعة العباسية المصرية وتقع فى ١٦ صفحة من القطع الكبير . كما اعتمدت على خطوطة مصورة على ميكروفيلم يحمل رقم (٤٧٨٨٣) محفوظ بدار الكتب المصرية من ضمن ما صور من خارج الدار ويضم المخطوط مجموعة رسائل لأبى زين الدين عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلى منها : استنشاق نسيم الانس من نفحات رياض القدس ، واختيار الأولى فى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ، والذل والانكسار للعزيز الجبار (الخشوع فى الصلاة) ورسائل أخرى وقد تم تصويرها من مكتبة فلورنسا الإيطالية .

٢ ـ قمت بتخريج جميع الآيات القرآنية الواردة فى الكتاب وجئت بتمامها فى الهامش حيث إن ابن رجب كثيراً ما يذكر جزءاً من الآية ولا يكملها ـ وقمت بالتعليق على الآيات بما يناسب موضوع الكتاب .

٣ ـ خرجت الأحاديث تخريجاً علمياً بالرجوع إلى المصادر الموثوق بها للسنة ذاكراً مكان الحديث ورقم الجزء والصفحة والبيانات الكاملة للحديث .

٤ ـ خرجت بعض الأخبار والآثار التى وردت عن الصحابة والتابعين والصالحين كى يقف القارىء على صحة وموضع وورود الخبر .

٥ ـ وضحت معانى المفردات مستعيناً بكتب اللغة والمعاجم العربية بعد أن قمت بتصحيح الرسالة كلها .. إملائياً ونحوياً ولغوياً ووضعت علامات الترقيم كى يستقيم النص .

٦ ـ كنت أتمنى أن أُعد الفهارس العلمية لهذا الكتاب كى تعين القارىء على الوصول إلى ما يريده ولكن بسؤال أهل العلم والخبرة قالوا لى إنه من الأفضل أن يعيش القارىء مع هذه الرسالة فيجىء ثمرتها المرجوة .

وختاماً : إن الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى أما نحن فبشر سمتنا النقص وعدم الكمال لذلك أستسمحك أيها القارىء الكريم عذراً إن وجدت تقصيراً أو نقصاً .

والله ولى التوفيق

يسرى عبد الغنى

القاهرة فى: ١٣ من مارس ١٩٨٩م
٧ من شعبان ١٤٠٩هـ

النص المحقق لكتاب

الذل والانكسار للعزيز الجبار

(الخشوع في الصلاة)

للإمام ابن رجب الحنبلي

(٧٣٦ - ٧٩٥هـ)

قال ﷺ :

« اللهم أحينى مسكيناً ، وأمتنى مسكيناً ، واحشرنى فى زمرة المساكين » .

[أخرجه ابن ماجه (٢ / ١٣٨١) كتاب الزهد(٤١٢٦)]

(خطبـــة المؤلـــف)

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، والحمد لله رب العالمين ...

الحمد لله جابر القلوب المنكسرة من أجلِهِ ، وغافر ذنوب المستغفرين بفضلِهِ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا شيء كمثلِهِ ، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وخيّره بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبدًا رسولًا ، فاختار مقام العبودية مع رسله .

وكان يقول : « **اللهم أحينى مسكينًا ، وأمتنى مسكينًا ، واحشرنى فى زمرة المساكين**[1] » تنويهًا بشرف هذا المقام وفضله .

ﷺ وعلى آلِهِ وصحبه ، والمُستَمسكين[2] بحبلِهِ ، وسلم تسليمًا .

وبعـد ...

---

(١) حديث أخرجه ابن ماجه (١٣٨١/٢) كتاب الزهد (٤١٢٦) عن أبى سعيد الخدرى قال : أحبوا المساكين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى دعائه : « الحديث ... » ، وكذا أخرجه الترمذى (٢١١٣/٩) كتاب الزهد من رواية أنس وفيه : « فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ » الحديث ، قال العجلونى فى كشف الخفاء (٢٠٧/١) : ورواه الطبرانى فى الدعاء بسند رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « الحديث » ا هـ . وفيه « توفنى » بدل « أمتنى » .

(٢) أى المتمسكين ، المعتصمين بكتاب الله الكريم .

- طوبى للمنكسرين .
- أصل الخشوع
- خشوع القلب
- وصول الخشوع إلى الأعضاء
- أين أبغيك يا الله ؟

طـوبى للمنكسـرين

فإن الله سبحانه وتعالى مدح فى كتابه المُخبتين[٣] له والمنكسرين لعظمته الخاضعين والخاشعين لها . قال الله تعالى : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين**[٤] ﴾ .

وقال : ﴿ **والخاشعين والخاشعات** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا**[٥] ﴾ .

ووصف المؤمنين بالخشوع له فى أشرف عباداتهم التى عليها يحافظون فقال ﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون**[٦] ﴾ . ووصف الذين أوتوا العلم بالخشوع حيث يكون

---

(٣) المخبتين : أى المتواضعين لله تعالى ، الخاشعين له ، نقول : أخبت إلى ربه أى اطمأن إليه .
وفسر مجاهد قوله تعالى : ﴿ وبشر المخبتين ﴾ بمعنى المطمئنين ، وقيل : هم المتواضعون .
وقال الفراء : أى تخشعوا لربهم سبحانه وتعالى .
وأخبت لله أى خشع ، وأخبت أى تواضع (راجع لسان العرب/ ١٠٨٧) .

(٤) الأنبياء/ ٩٠ ــ إن الخاشع لله تعالى يدفعه خشو ، دومًا للمسارعة إلى عمل القربات وفعل الطاعات ، ويكون دعاؤه دعاء الموقن بوعد الله تعالى ووعيده ، ولذلك فهو يدعو الله رغبًا فيما عند الله من الثواب ، ورهبا مما عنده سبحانه وتعالى من العقاب .

(٥) الأحزاب/ ٣٥ ــ وقد عرف الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤٨٨/٣) الخشوع بأنه السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع ، والدافع إليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما فى الحديث : « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

(٦) المؤمنون : ١ ، ٢ ــ فلاح المؤمنين مقرون بصفات بينتها الآيات الأولى من سورة « مؤمنون » : خشوع فى الصلاة ، إعراض عن اللغو ــ فعل للزكاة ــ حفظ للفروج ــ رعاية لله مانات والعهود ــ محافظة على الصلوات .
وإذا نظرنا فى هذه الصفات نظرة فاحصة عرفنا أن الفلاح ليس أخروياً فقط ، ولكنه فلاح فى حيا ا الدنيا أيضاً إن تحققت هذه الصفات فى المؤمنين ، ولنلاحظ أن المولى جل علاه بدأ الآيات بذكر الصلاة وأنهاها بها ، لأن الصلاة هى بداية طريق بناء المجتمع الإسلامى الناجح ، وهى الاطر الذى تدور داخله كل الأمور الأخرى حافظة لها من أى زيغ ، لذلك كانت هى الأساس فى تقويم أعمال =

كلامه مسموعاً . فقال : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان**[٧] **سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا** ﴾[٨] .

أصـــل الخشـــوع

وأصل الخشوع هو لين القلب ودقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له كما قال ﷺ : « **ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**[٩] » فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام لهذا كان النبى ﷺ يقول فى ركوعه فى الصلاة « **خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى** » . وفى رواية : « **واستقل به قدمى** »[١٠] ورأى بعض السلف[١١] رجلًا يعبث بيده فى الصلاة فقال:

= المسلم فى الآخرة ، فإذا صلحت صلاتنا صلحت أعمالنا كلها ، وإذا لم تكن كذلك بطل عملنا والعياذ بالله .

(٧) ذقن الإنسان كما يقول الرازى فى مختار الصحاح (٢٢٢ ، ٥٩٥) هى مجمع لحييه ، واللحى : منبت اللحية من الإنسان وغيره .

(٨) الاسراء : ١٠٧ ــ ١٠٩ .

(٩) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (١٩/١) كتاب الإيمان ، وأخرجه مسلم (١٢١٩/٣) كتاب المساقاة (١٠٧) ، وكذا أخرجه ابن ماجه فى سننه (١٣١٨/٢) كتاب الفتن (٣٩٨٤) ، والدارمى فى سننه (٢٤٥/٢) كتاب البيوع . وكلهم أخرجوه عن طريق النعمان بن بشير من حديث طويل .

(١٠) حديث أخرجه مسلم (٥٣٥/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٠١) ، وأبو داود (٢٠١٢/١) كتاب الصلاة (٧٦٠) ، والترمذى (٣٠٥/١٢) كتاب الدعوات ، والنسائى (١٩٢/٢) كتاب التطبيق (١٠٥٠) كلهم عن طريق على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح بدون قوله : « وما استقل به قدمى » فإنه قد أخرجها الدارقطنى فى سننه (٣٤٢/١) حديث رقم (٣) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أيضاً .

(١١) السلف أجدادنا من المسلمين العظام ، أو رجال الدين والعلم والصلاح الذين قدموا الكثير =

لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[١٢].وروى ذلك عن حذيفة رضى الله عنه وسعيد بن المسيب ويروى مرفوعًا لكن بإسناد لا يصح[١٣]

خشـــوع القـــلب

قال المسعودى عن أبى سنان عمن حدثه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾[١٤].قال هو الخشوع فى القلب وأن تلين كنفك [١٥] للمرء المسلم وأن لا تلتفت فى صلاتك.وقال عطاء بن السائب عن رجل عن

= والكثير لخدمة الفكر الإسلامى ، والسلفية تعنى الإنتماء إلى هؤلاء والأخذ من علمهم الفياض البعيد عن البدع وعدم مخالفة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وإجماع أصحاب رسول الله ﷺ ، واجتهاد العلماء الأفاضل المشهود لهم بالثقة والفضل ... إذن السلفية لا تعنى الجمود والتأخر ، لا تعنى التزمت والتخلف كما يزعم بعض المتحذلقين ، والمتفيقهين .

(١٢) اعلم أن سكون الجوارح واطمئنانها وخضوعها لخالقها عز وجل مرتبط بتحقيق الخشوع فى القلب المسلم ، ولهذا يجب أن تتجه جهود المعلمين والدعاة إلى ضرورة إيقاظ الضمائر والهمم ، وتحقيق انبل المعانى الا وهو خشوع القلوب قبل أن تخشع الجوارح ، ولا نريد خشوع للجوارح مجرد عن خشوع القلوب ، فعندما تستقيم الأبدان وتكون خاضعة ملتزمة بأمر الله تعالى إلتزاماً نابعًا من قلوب خاشعة عالمة بجلال الله تعالى وهيبته .

(١٣) أورده الغزالى فى « إحياء علوم الدين : ١٥١/١ » بلفظ : « رأى رسول الله ﷺ رجلًا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال ..... » وساقه بلفظه .

قال الحافظ العراق : أخرجه الترمذى فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم .

(١٤) المؤمنون : ٢ — راجع الأقوال التى أوردها ابن رجب الحنبلى فى تفسير الآية الكريمة — وراجع أيضاً تفسير ابن كثير (٢٣٨/٢) .

(١٥) كنفك أى جناحك ... والمراد أن يلين المسلم جانبه لأخيه المسلم ، لا يتعالى عليه ، لا تحقره أو تحتقره بل يكون معه فى سلوكه مثال طيب للتواضع والحب والرحمة والرأفة .

وقد علمنا القرآن أن نخفض جناحنا لإخواننا فى الايمان ، والله قادر على أن يأتى بقوم يحبهم ويحبونه ، يكون التواضع والرأفة سلوكهم فى معاملة المؤمنين ، وفى نفس الوقت أعزة على الكافرين .

راجع الآية (٢١٥) من سورة الشعراء ، والآية (٥٤) من سورة المائدة .

على رضى الله عنه: «الخشوع خشوع القلب وأن لا تلتفت يميناً ولا شمالًا ».وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ قال: خائفون ساكنون

وقال أبو شوذب عن الحسن رحمه الله تعالى « كان الخشوع فى قلوبهم فغضوا له البصر فى الصلاة. وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد رحمه الله تعالى فى قوله ﴿**وكانوا لنا خاشعين**﴾[١٦] قال «متواضعين» قد وصف الله تعالى فى كتابه الأرض بالخشوع فقال : ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾[١٧] .

فاهتزازها وربوها وهو ارتفاعها مزيل لخشوعها فدَّل على أن الخشوع الذى كانت عليه هو سكونهاوانخفاضها ،فكذلك القلب إذًا [خشع][١٨] فإنه تسكن خواطره وإرادته الرديئة التى تنشأ من اتباع الهوى ،وينكسر وينخضع لله فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر ، ومتى سكن ذلك فى القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها الصوت . حتى وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع فى قوله : ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن**﴾[١٩]

فخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضها بعدارتفاعها .وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارها يوم القيامة بالخشوع[٢٠]

---

(١٦) الأنبياء : ٩٠ . (١٧) فصلت : ٣٩ .

(١٨) فى نسخة [إذا خشع] وهى ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب .

(١٩) طه : ١٠٨ .

(٢٠) يشير ابن رجب هنا إلى قوله تعالى : ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة . ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ [المعارج : ٤٤] . ومعنى ترهقهم أى تغشاهم .

وصـــول الخشـــوع إلى الأعضـــاء

فدل ذلك على دخول الخشوع فى هذه الأعضاء كلها، ومتى تكلف الإنسان تعاطى الخشوع فى جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه كان ذاك خشوع نفاق .

وهو الذى كان السلف يستعيذون منه . كما قال بعضهم : « استعيذوا بالله من خشوع النفاق » قالوا : وما خشوع النفاق؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع[٢١] .

ونظر عمر رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له :يا هذا ... ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب ، فمن أظهر خشوعاً غير ما فى قلبه فإنما هو نفاق على نفاق[٢٢] .

وأصل الخشوع الحاصل[٢٣] فى القلب،إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع ويتفاوت الخشوع فى القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات[٢٤] المقتضية للخشوع .

---

(٢١) أورده الغزالى فى إحياء علوم الدين (٣٣١/٣) قال : قد جاء فى الخبر : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » .

قال الحافظ العراق فى تخريجه : أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفيه الحارث بن عبيد الأزدى ضعفه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده ، وحكم عليه نفس الحكم ابن معين أيضاً .

(٢٢) هذا الخبر أورده ابن الجوزى فى كتابه : « تلبيس أبليس » ٢٩١ ، عن محمد بن عبد الله القرشى عن أبيه قال ... إلخ ــ مع اختلاف فى بعض الألفاظ . وقد أورده الغزالى فى إحياء علوم الدين (٣٩٦/٣) بلفظ : يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلًا يطأطىء رقبته فقال : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب .

(٢٣) الحادث .

(٢٤) أى صفات الله عز وجل المنزهة عن كل نقص .

فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عبده ،واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى ومراقبته فى الحركات والسكنات ، ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله المقتضى للاستغراق فى محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته ،ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه[٢٥] وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه .

وهو سبحانه وتعالى جابر المنكسرة[٢٦] قلوبهم من أجله ، وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه فى الصلاة ، ويعفر وجهه فى التراب بالسجود كما يتقرب من عباده الداعين له السائلين له المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار[٢٧] ، ويجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب والإجابة .

أين أبغيك يا الله ؟

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى كتاب الزهد بإسناده عن عمران القصير قال « قال موسى عليه السلام : أى رب .. أين أبغيك[٢٨] ؟ قال :

---

(٢٥) الله سبحانه وتعالى لا يبطش ولا ينتقم ولا يعاقب من يقترب منه ، من يذكره دائماً ، من يخاف منه ، ولكنه سبحانه يفعل ذلك بأهل الضلال والفسق والكبر ، بمن نسوه سبحانه وتعالى ، بمن تحالفوا مع الشيطان .

(٢٦) الانكسار بمعنى القلب الخاشع ، وليس القلب المغرور ، الجاحد .

(٢٧) السحر مفرد الاسحار التى هى جمع تكسير على وزن أفعال . والسحر هو ثلث الليل الأخير ، وقت تلاشى الليل وإقبال النهار ، والسحر أيضاً آخر الليل قبيل الصبح — (راجع لسان العرب / ١٩٥٢) .

والاستغفار بالأسحار صفة من صفات المؤمنين المتقين الذين صدقوا مع الله فى إيمانهم به ، وباليوم الآخر ، فكانوا بحق فرسانًا بالنهار يعملون ويجدون مع خدمة الإسلام ، قوامًا بالليل ، ذلك لأنهم جعلوا الدنيا جسرًا يعبرون عليه للدار الآخرة .

(٢٨) أبغيك أى أجدك ، والمعنى أن المولى سبحانه وتعالى يكون حيث القلوب الخاشعة المتواضعة ، يقترب منها كل يوم باعًا فلولا ذلك لانهدمت هذه القلوب — والله أعلم .

ابغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى إنى أدنو منهم كل يوم باعًا فلولا ذلك لانهدموا» . وروى ابراهيم بن[٢٩] الجنيد رحمه الله تعالى فى كتاب المحبة عن جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينارقال : قال موسى عليه السلام: إلهى ... أين أبغيك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن يا موسى ابغنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فإنى أدنو منهم فى كل يوم باعًا ولولا ذلك لانهدموا[٣٠] .

قال : جعفر فقلت لمالك بن دينار : كيف المنكسرة قلوبهم؟ فقال : سألت الذى أقرأنى الكتاب فقال : سألت الذى سأل عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم بم تنكسر ؟ قال : المنكسرة قلوبهم بحب الله عز وجل .

(٢٩) من علماء الصوفية الأوائل ، ومن أكثرهم إلتزاما بالقرآن والسنة المطهرة .

(٣٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى كتاب «الزهد» (ص ٩٥) عن عمران القصير وساقه بلفظه دون قوله «من أجلى» .

- الصبر والرضا
- الخشوع والعلم النافع
- وتصدع الجبل من خشية الله
- بيان الخشوع فى الصلاة
- هذه كفارة الذنوب
- طهارة وخشوع القلب

الصـــبر والرضـــا

وقد جاء فى السنة الصحيحة ما يشهد بقرب الله من القلب المنكسر ببلائه ،الصابر على قضائه والراضى بذلك ،لما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ **يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال : ربِّ كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده**[٣١] ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده »[٣٢] .

وروى أبو نعيم من طريق حمزة عن ابن شوذب قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتدرى لأى شىء أصطفيتك[٣٣] على الناس برسالاتى وبكلامى ؟ قال : لا يارب قال : لأنه لم يتواضع لى أحد قط تواضعك[٣٤] .

---

(٣٠) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى كتاب « الزهد » طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٣ م (ص ٩٥) عن عمران القصير وساقه بلفظه دون قوله « من أجلى » .

(٣١) فلم تعده : أى لم تزره ، وزيارة المريض واجبة بل هى حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم . فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » [حديث متفق عليه] .

(٣٢) حديث أخرجه مسلم (١٩٩٠/٤) فى كتاب البر والصلة (٤٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث طويل .

(٣٣) فعلها اصطفى ، والاصطفاء هو الاختيار والاجتباء ومنه قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [١٣٢/ البقرة] فالله اختار لنا الدين ليكون هو هدى حياتنا ومصلحًا وسراجًا منيرًا لدنيانا .

(٣٤) أورده الألوسى فى « روح المعانى » (٥٦/٩) فى تفسيره لآية : ﴿ قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ﴾ . [١٤٤/ الأعراف] . وقال : أخرج ابن أبى حاتم عن العلاء بن كثير قال : إن الله تعالى قال : يا موسى أتدرى لم كلمتك ؟ قال : لا يارب — قال : لأنى لم أخلق خلقاً تواضع لى تواضعك .

الخشوع والعلم النافع

وتواضعه هذا هو الخشوع ، وهو العلم النافع ، وهو أول ما يرفع من العلم ، فخرج النسائى من حديث جبير بن نفير رضى الله عنه عن عوف ابن مالك رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً فقال : **هذا أوان يرفع فيه العلم فقال رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد : يا رسول الله أو يرفع العلم وقدأثبت ،ووعته القلوب؟فقال له رسول الله ﷺ: إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة ، وذكر ضلال اليهود والنصارى على ما فى أيديهم من كتاب الله عزوجل .**

قال : لقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال: صدق عوف..ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟قلت: بلى قال: الخشوع حتى لا ترى خاشعًا(٣٥) .

وخرجه الترمذىُ من حديث جبير بن نفيل عن أبى الدرداء وأخبرته بالذى قال.فقال : صدق أبو الدرداء ، لو شئت حدثتك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا(٣٦) . وقد قيل أن رواية النسائى أرجح .

---

(٣٥) لم أقف عليه عند النسائى فى سننه ، ولكن قد أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢٨١/٤)، وابن ماجه (٣٤٤/٢) كتاب الفتن حديث (٤٠٤٨) كلاهما عن زياد بن لبيد بنحوه .

وقد نقل الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباق محقق سنن ابن ماجه : فى الزوائد : هذا إسناده صحيح ، رجاله ثقات إلا أنه منقطع .

قال البخارى فى التاريخ الصغير : لم يسمع سالم بن أبى الجعد بن زياد بن لبيد . وتبعه على ذلك الذهبى فى الكاشف وقال : ليس لزياد عند المصنف سوى هذا الحديث وليس له شىء فى بقية الكتب .

(٣٦) حديث أخرجه الترمذى فى سننه (١٢١/١٠) كتاب العلم بشرح الإمام ابن العربى المالكى عن أبى الدرداء ، وفيه : قال جبير : فلقيتُ عبادة بن الصامت . قلتُ : ألا تسمع إلى مايقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء ، قال : صدق أبو الدرداء «الحديث» .

وروى سعيد بن بشير عن الحسن رحمه الله تعالى عن شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : « **أول ما يرفع من الناس الخشوع** »[٣٧] فذكره. ورواه أبو بكر بن أبى مريم عن حمزة بن حبيب مرسلًا وروى نحوه عن حذيفة من قوله. فالعلم النافع هو ماباشر[٣٨] القلوب، فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات لله والتواضع والانكسار واذا لم يباشر القلب ذلك من العلم وإنما كان على اللسان فهو حجة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه وغيره كما قال ابن مسعود رضى الله عنه : «إن أقواما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم[٣٩] ولكن إذا وقع فى القلب يرسخُ فيه نفع صاحبه » .

---

(٣٧) أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره (٣١٠/٤) عند تفسيره لآية ﴿ألم يأنْ للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [١٦/ الحديد] .

قال قتادة : ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال : « الحديث » .

وقد أورده علاء الدين بن حسام الدين الهندى فى كتابه : « كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال » (١٤٦/٣) حديث (٥٨٨٩) وعزاه للطبرانى عن شداد بن أوس .

(٣٨) باشر بمعنى أثر وأتى أكله ، على القلب فخشى وسكن وخشع واطمئن وتواضع .

(٣٩) الحديث أخرجه مسلم (٥٦٣/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٧٥) عن أبى وائل الذى قال : جاء رجل يقال له نهيلة بن سنان إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف . ألفًا تجده أم ياءً : من ماءٍ غير آسن أو من ماءٍ غير ياسن؟ قال : فقال عبد الله : وكل القرآن قد أحصيت غير هذا ؟ قال : إنى لأقرأ المفصل فى ركعة ، فقال عبد الله : هذا كهذ الشعر ؟ إن أقوامًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم » الحديث » .

فهذا الرجل لم يهم من القرآن الا برسمه فقط لا غير ، ولم يتدبر ويعى ما فيه ، ولم يتفكر .

ولذلك قال له ابن مسعود : أكل القرآن قد أحصيته وفهمته سوى هذا ؟، فأبان الرجل عن كيفية تعامله مع القرآن حيث إنه يقرأ المفصل فى ركعة ، والمفصل على ما رجحه العلامة الزركشى فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » بتحقيق أستاذنا/ محمد أبو الفضل إبراهيم (٢٤٦/١) يبدأ بسورة (ق) إلى نهاية القران الكريم أى حوالى (٦٦) سورة ، ولذلك قال ابن مسعود : هذا كهذ الشعر ؟

والهذ فى اللغة بالذال هو القراءة السريعة على حدٍّ ما قاله صاحب لسان العرب (ص ٤٦٤٣) وللمزيد من التعريف بفضل (المفصل) وعدد سوره وما قيل فيه من أحاديث وأقوال راجع كتاب « مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن » لإبن رجب الحنبلى والذى قدمناه لأول مرة للقراء من مخطوطة نادرة لم يكشف النقاب عنها من قبل وكانت دراستنا لها وتحقيقها عبر مكتبة القرآن بالقاهرة .

وقال الحسن رحمه الله : « العلم علمان ! علم باللسان ، وعلم بالقلب فعلم القلب هو العلم النافع ، وعلم اللسان حجة الله على ابن آدم[٤٠] » وروى مرسلاً[٤١] عن الحسن رحمه الله تعالى عن النبى ﷺ ، وروى عن جابر رضى الله عنه مرفوعًا وعنه عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً[٤٢]، ولا يصح وصله . فأخبر النبى ﷺ أن العلم الذى عند أهل الكتابين من قبلنا موجود بأيديهم ولا ينتفعون بشىء منه لما فقدوا المقصود منه وهو وصوله إلى قلوبهم حتى يجدوا حلاوة الإيمان به ومنفعته بحصول الخشية والإنابة لقلوبهم ، وإنَّما هو على ألسنتهم تُقَامُ به الحُجَّةُ عليهم .

ولهذا المعنى وَصَفَ الله سبحانه فى كتابه العلماء بالخشية كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ**[٤٣] ﴾ ، وقال :

---

(٤٠) جاءت فى نسخة « على بن اذم » وهذا خطأ واضح والصحيح « على بن آدم » .

(٤١) الحديث المرسل هو ما سقط منه الصحابى ، أى رفعه التابعى إلى رسولنا ﷺ .

والمرسل إذا أسند عن ثقات يتقوى وتنكشف صحته .

وقد روى كثير من الرواة أحاديث مرسله ، ولهذا أفرد بعض المؤلفين كتبًا خاصة لبيان الأحاديث المرسلة وأخرى لبيان الرواة الذين رووا أحاديث مرسلة مثال لذلك : أبو داوود فى سننه له كتاب « المراسيل » والموقوف عكسه المرفوع وهو ما روى عن الصحابى من قول أو فعل أو تقرير ولم يرفعه إلى رسول الله ﷺ .

(٤٢) الحديث أورده أحمد بن عبد ربه فى العقد الفريد (٢٢٧/٢) من قول الحسن بنحوه . وكذا المنذرى فى الترغيب والترهيب (٦١/١ ، ٦٢) من رواية جابر ثم قال : رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر فى كتاب العلم عن الحسن مرسلًا بإسناد صحيح .

ثم أورد أيضاً رواية أنس . وقال : رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

والأصبهانى فى كتابه ، ورواه البيهقى عن الفضيل بن عياض من قوله (أى أنس) غير مرفوع .

قال الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث كتاب إحياء علوم الدين للغزالى (٥٩/١) أخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر ، وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلًا بإسناد صحيح ، وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد وأعله ابن الجوزى .

(٤٣) فاطر : ٢٨ ــ الله لا يخشى أحداً ، إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ، الموصوف بالأسماء الحسنى ، وكلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم ، فالذى يخشى الله تعالى ــ من عباده ــ

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هل يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾[٤٤].

وَوَصَفَ العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخشوع ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّون لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّون لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ويَزِيدُهُم خُشُوعًا ﴾[٤٥] .

وقوله تعالى فى وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا مَدْحٌ لمن أَوْجَبَ له سماع كتاب الله الخشوع فى قلبه . وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّنْ ذِكْرِ اللهِ أُولئكَ فى ضَلَالٍ مُّبين . اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾[٤٦] . ولين القلوب هو زوال قساوتها لحدوث الخشوع فيها والرقَّةِ .

وقد قَبَّحَ الله مَنْ لا يخشع قلبه لسماع كتاب الله وتدبُّره . قال

= العلماء ــ (راجع تفسير ابن كثير ٣/٥٥٣) .

(٤٤) الزمر : ٩ ــ القانت هو الخاشع المتواضع المتذلل لله وحده ــ وآناء الليل : ساعاته ــ فهو قائم بين يدى مولاه العظيم ، خاشع ، خاضع يتمثل أمامه الآخرة وما فيها من أهوال الحشر والعرض والحساب والصراط ، وهو فى كل هذا يعلم أن المخرج هو الإلتجاء إلى رب العزة ، ولذلك فهو يرجو رحمة ربه ، لذلك قال تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون ﴾ فالعلم الحقيقى هو الذى يزيدنى تواضعاً ، وخشوعًا ، وتقوى ، العلم الحقيقى هو الذى يظهر أثره جلياً فى سلوك العبد مع ربه .

(٤٥) الإسراء : ١٠٧ ــ ١٠٩ .

(٤٦) الزمر : ٢٣ ــ لقد توعد الله القاسية قلوبهم الذين هم فى ضلال مبين ، الذين لا تلين قلوبهم عند ذكره سبحانه وتعالى ، ولا تخشع ولا تفهم ما أنزل الله ، بالويل أما الذين تحققت فيهم خشية الله القائمة على علم تام بجلاله وهيبته سبحانه فلهم شأن آخر مع كتاب الله الكريم حيث تقشعر الجلود خوفا ورهبة وإجلالًا ، ثم تلين الجلود والقلوب وتصبح طيعة لأمر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه . راجع تفسير ابن كثير (٤/٥٠) بتصرف .

تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا ﴾[٤٧] الآية . قال ابن مسعود رضى الله عنه : « ما كان بين إسلامنا وبين أن عُوتِبْنَا بهذه الآية إلا أربع سنين[٤٨] . خَرَّجَهُ مسلم . وخَرَّجَهُ النسائى وزاد فيه : فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً . وَخَرَّجَ ابن ماجه من حديث الزبير رضى الله عنه قال : « لم يكن بين إسلامهم وبين أَنْ نزلتْ هذه الآية يعاتبهم الله بها إلا أربع سنين »[٤٩] .

وقد سمع كثير من الصالحين هذه الآية تُتْلَى ، فَأَثَّرَتْ فيهم آثارًا متعددة فمنهم مَنْ مات عند ذلك لانصداع قلبه بها ! ومنهم مَنْ تاب عند ذلك لانصداع قلبه بها ، ومنهم مَنْ تاب عند ذلك وخرج عَمَّا فيه ، وقد ذكرنا أخبارهم فى كتاب الاستغناء بالقرآن[٥٠] .

وتصدع الجبل من خشية الله !

وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

(٤٧) الحديد : ١٦ . وتمامها قوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ .

قال ابن كثير (٣١٠/٤) : « أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وأن تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه ، لذلك حذرنا الله تعالى أن نكون مثل الذين سبقونا طال عليهم الأمد وأشربوا حب الدنيا فقست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيد ، فلا ذكر الجنة يرغبهم فى طاعة الله ، ولا ذكر النار أبعدهم عن معصيته .

(٤٨) أخرجه الإمام مسلم القشيرى (٢٣١٩/٤) كتاب التفسير رقم (٢٤) عن ابن مسعود .

(٤٩) أخرجه ابن ماجه فى سننه (١٤٠٢/٢) كتاب الزهد (٤١٩٢) عن أبى حازم أن عامر بن عبد الله بن الزبير أخبره أن أباه أخبره ... « الحديث » . فهو من حديث عبد الله بن الزبير وليس من حديث الزبير كما ذهب ابن رجب والله أعلم .

(٥٠) « الإستغناء بالقرآن » اسم كتاب لإبن رجب الحنبلى ، ذكره إسماعيل البغدادى فى كتاب (هدية العارفين) (٥٢٧/١) طبع وكالة المعارف ـ إستامبول ١٩٥١م .

مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[٥١] الآية ، قال أبو عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ : والله لقد صرف إلينا ربنا فى هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لمحاها ودحاها[٥٢]. وكان مالك بن دينار رحمه الله يقرأ هذه الآية ثم يقول أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صُدِعَ[٥٣] قلبه، وروى عن الحسن رحمه الله تعالى قال يابن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة[٥٤] أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسى[٥٥] لخشعت وتصدعت ،أما سمعته يقول لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعًا من خشية الله الآية، فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر[٥٦] فيها وتعتبر[٥٧] بها[وتنزجر]بها[٥٨] عن معاص الله عز وجل وانت يابن آدم أحق أن تخشع لذكر الله وما حملك من كتابه،وآتاك من حكمه لأن عليك الحساب ، ولك الجنة أو النار،وقد كان النبى ﷺ يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما فى صحيح مسلم عن زيد ابن أرقم أن النبى ﷺ كان يقول « **اللهم إنى أعوذ بك من علم لا**

---

(٥١) الحشر : ٢١ . تمام الآية : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ ، فالآية مثل يعطيه الله لعباده حتى يمتثلوا لأمره سبحانه، ولا ينفكوا عن الخشوع لأوامر الله تعالى، وكما يقول ابن كثير فى تفسيره : إذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع لجلال الله ، وتتصدع من خشيته تعالى ؟ وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه .

(راجع ابن كثير فى تفسيره : ٣٤٣/٤) .

(٥٢) دحاها : أى بسطها فجعل الجبال منبسطة ليس بها هضاب ولا مرتفعات ، ومنه قوله تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [النازعات : ٣٠] راجع المختار الصحاح (ص ٢٠٠) .

(٥٣) بمعنى خشع قلبه لله سبحانه وتعالى .

(٥٤) بذنب ترتكبه فى حق الله ، أو منكر نهى الله عنه تقترفه .

(٥٥) الجبال العالية ، الشامخة ، كالطود المرتفع .

(٥٦) التفكر بمعنى التأمل والتدبر للوصول إلى الإيمان الواعى المكلل بالخشوع والإطمئنان .

(٥٧) الاعتبار الاتعاظ ، وأخذ الدرس والعظة .

(٥٨) و [تنزجر بها] ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة .

ينفع ،[مِنْ]وقلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها[٥٩] » وروى نحوه عن النبى ﷺ من وجوه متعددة[٦٠] ويروى عن كعب الأحبار قال : « مكتوب فى الإنجيل : يا عيسى قلب لا يخشع علمه لا ينفع وصوته لا يسمع، ودعاؤه لا يرفع »[٦١] ، وقال أسد بن موسى فى كتاب (الورع)[٦٢] حدثنا مبارك بن فضالة كان الحسن رحمه الله تعالى يقول : إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها، وأفضى[٦٣] يقينها إلى قلوبهم،وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم[٦٤]وأبصارهم ، وكنت والله إذا رأيتهم رأيت قومًا كأنهم رأى عين[٦٥]،فوالله ما كانوا بأهل جدل ولاباطل ،ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله ،ولا أظهروا ماليس فى قلوبهم،ولكن جاءهم من الله أمر فصدقوا به فنعتهم[٦٦] الله تعالى فى القرآن أحسن نعت فقال : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على**

---

(٥٩) حديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (٢٠٨٨/٤) كتاب الذكر ، حديث (٧٣) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، ولفظة (مِنْ) بين المعقوفين زائدة من صحيح مسلم .

(٦٠) أخرجه أبو داوود (٩٢/٢) كتاب الوتر (١٥٤٨) ، وابن ماجه (١٢٦١/٢) كتاب الدعاء (٣٨٣٧) ، والنسائى (٢٦٣/٨) كتاب الإستعاذة (٥٤٦٧) كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « اللهم إنى أعوذ بك من الأربع ... ومن دعاء لا يسمع » ، وأخرجه الترمذى (٢٣/١٣) كتاب الدعوات عن عبد الله بن عمرو بنحو لفظ أبى هريرة مع تقديم وتأخير ثم قال الترمذى : وفى الباب عن جابر وأبى هريرة وابن مسعود وقال : هذا حديث حسن ، صحيح غريب ، من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو ، وقد أورد ابن رجب هذه الوجوه فى كتابه الهام « فضل علم السلف على الخلف » المطبوع فى مصر بمطبعة مصطفى الحلبى ــ سنة ١٣٤٧ هـ (ص ٤) .

(٦١) أى لا يصل إلى الله سبحانه وتعالى .

(٦٢) هذا الكتاب أخذ منه الكثيرون من أهل العلم والفقه .

(٦٣) بمعنى أدى .

(٦٤) أجسامهم وجوارحهم .

(٦٥) رؤية العيان .

(٦٦) وصفهم .

الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا[٦٧] ﴾قال :حلماء لا يجهلون[٦٨] ،وإذا جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال : ﴿ **والذين يبيتون لربهم**

---

(٦٧) الفرقان : ٦٣ ــ يمشون على الأرض هونًا ، يمشون بسكينة ووقار ، دون استكبار ، حتى أن السفهاء إذا تسافهوا عليهم لم يردوا عليهم الا بالخير والمعروف .

قال الشافعى :

متاركـــة السفيـــه بلا جوابٍ أشد على السفيـــه من الجواب

وقال :

إذا نطـق السفيـه فلا تجبـه فخير من إجابتـه السكـوت

وقال سالم بن ميمون الخواص :

سكتُ عن السفيـه فظـن أنى عييت عن الجواب وما عييت
فإن كلمتـه فرجت عنـه وإن خليتـه كمـداً يموت
شرار النـاس لو كانـوا جميعـاً قذىً فى جوف عين ما قذيتُ
فلستُ مجاوبًـا أبـداً سفيها خزيت لمن يجافيـه خزيتُ

وقال الشافعى أيضاً :

أعـرض عن الجاهـل السفيـه فكـل ما قال فهـو فيـه
ما ضر بحرَ الفـرات يومًـا إن خاضَ بعض الكـلاب فيـه

وقال :

ومنزلـةُ السفيـه من الفقيـه كمنزلـة الفقيـه من السفيـه
فهـذا زاهـدٌ فى قرب هذا وهذا فيـه أزهـد منـه فيـه
إذا غلب الشقـاء على سفيـه تقطـع فى مخالفـة الفقيـه

وقال لمتوكل الليثى :

لا تتبع سبل السفاهة والخنـا إن السفيـه معنـف مشتـوم

(٦٨) الجهل هنا بمعنى السفه والحمق ، وليس بمعنى ضد العلم :

يقول أبو العلاء المعرى :

عداوةُ الحمقِ أعفى من صداقتهم فابعد من الناس تأمن شرة الناسِ

وقال صالح عبد القدوس :

إحـذر الأحمق أن تصحبـهُ إنما الأحمق كالثـوب الخلـق
كلمـا رقعتـهُ من جانبٍ حركتـه الريـحُ وهنـا فانخرق
كحمـار السوء إن أقضمتـهُ رمـحَ النـاسَ وإن جاع نهق
وإذا جالستـه فى مجلسٍ أفسد المجلس منـه بالخرق
وإذا عاتبتـه كى يرعـوى زاد شراً وتمادى فى الحمـق
عجبـاً للنـاس فى أرزقاهـم ذاك عطشانٌ ، وهـذا قد غرق =

سجداً وقيامًا ﴾[٦٩] ينتصبونَ لله على أقدامِهم ، ويفترشون وجوههم لربِهم سجداً تجرى دموعهم على خدودهم فرقًا من ربهم . وقال الحسن

= ويقول واصل بن عطاء :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقلِ
فإن الفتى ذا العقلِ يشقى بعقلهِ كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهلِ

ويقول أُستاذُنا/ العقاد :

الطيش أن تعمل ما تشتهى وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كفؤان إن وازنتَ حظيهما يا صاح فاختر منهما ما حضر

ويقول المرى :

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وأن كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

ويقول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وأحيل القارىء للمزيد من التعريف بالحمى اللغوى للحمق والحلم إلى أساس البلاغة لجار الله الزمخشرى (ص ١٤٥) ، وتفسير ابن كثير (٣/٣٢٤) وعن الحلم يقول المتنبى :

فما الحداثة عن حلمٍ بمانعةٍ قد يوجد الحلمُ فى الشبانِ والشيب

ويقول الحزيمى :

أرى الحلمَ فى بعض المواطن ذلةً وفى بعضها عزًا يسود صاحبه

وقال المتنبى :

وإذا الحلمُ لم يكن فى طباعٍ لن يحلم تقدم الميلاد
إذا قيل رفقاً قال للحلمِ موضع وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

ويقول كثير عزة :

وفى الحلمِ والإسلام للمرء وازعٌ وفى ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائر رشد للفتى مستبينةٌ وأخلاق صدقٍ علمها بالتعلمِ

ويقول البارودى :

وما الحلم عند الخطب والمرء عاجزٌ يستحسن كالحلم والمرء قادرُ
ولو تكاليف السيادة لم يخب جبان ولم يحو الفضيلة ثائر

ويقول على بن مقرب :

والحلم فى بعض المواطن ذلةٌ فاصفح وعاقب وأعجلن وتأبدا
ما قل حلم مصلحاً بل طالما عز السفيه الحلم عنه فافسدا

(٦٩) سورة الفرقان آية : ٦٤ .

والآية : ﴿والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ﴾ .

وكلمة [قيامًا] ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة . وفرقًا . خوفاً من الله سبحانه وتعالى .

رحمه الله تعالى : لأمر ماسهروا ليلهم، لأمر ماخشعوا نهارهم قال تعالى : ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما**[٧٠] ﴾ قال وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام وإنما الغرام الملازم له مادامت السموات والأرض قال صدق القوم والله الذى لا إله إلا هو فاعملوا وأنتم تتمنون ، فإياكم وهذه الأمانى ـ رحمكم الله فإن الله لم يعط عبدًا بأمنيته خيراً قط فى الدنيا والآخرة[٧١] : وكان يقول ياهنا موعظة لو وافقت من القلوب حياة .

=ومنه قول الله تعالى فى المنافقين فى سورة التوبة : ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ فإنهم ما حلفوا أنهم منكم إلا خوفًا وهلعًا منكم ، ولكنهم فى الحقيقة ليس منكم .

ويقول المعرى :

لا تكونن للأمور هيوبًا فإلى خيبة يصير الهيوب

وقال أيضاً :

خف دينا كما تخاف شريفًا صال ليث الشرى بظفر وناب
والصلال التى تخاف رداها شرها فى الرؤوس والأذناب
فاحذر من الإنس أدناهم وأبعدهم وإن لقوك بتبجيل وترحاب

(٧٠) الفرقان : ٦٥ ـ وقد ورد قول العالم الاريب والعلامة الصالح الحسن البصرى فى تفسير الحافظ ابن كثير (٣/٣٢٤) .

(٧١) (الغرامُ ، فى اللغة هو الشر الدائم والعذاب ووصف المولى سبحانه وتعالى جهنم بأن عذابها كان غرامًا .

قال أبو عبيدة : أى هلاكاً ولزامًا لهم .

ورجلٌ (مُغْرَم) من (الغُرْم) والدين .

وقد (أُغْرِمَ) بالشيء أى أولع به .

و (الغريمُ) الذى عليه الدين ـ يقال : خذ من غريم السوء ما صنح .

وقد يكون الغريم أيضاً الذى له الدين .

قال كثير :

قضى كل ذى دين فوفّى غريمه وعزة ممطولٌ مُغَنًّى غريمُها

و (أغرمه) و (غرمه تغريمًا) بمعنى .

و (الغرامةُ) ما يلزم أداؤه وكذا (المغرم) و (الغُرم)

وقد (غَرِمَ) الرجل الدية بالكسر (غُرْما) .

(٧٢) وفى ذلك يقول ربنا العظيم فى كتابه المجيد : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ [النساء/ ١٢٣]

الخشـوع والخاشـعون

فصل : فى بيان الخشوع فى الصلاة

وقد شرع الله لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشىء[٧٣] عن خشوع القلب وذله وانكساره ومن أعظم ما

= يقول على بن مقرب :

إنما تدرك غايات المنى بيسير أو طعانٍ وجلادِ
واللبيب الحى لا يخدعه لمعان الآل عن حفظ المزادْ

ويقول الأبيورى

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أخو اللؤم فيها والكريم يخيب

ويقول أستاذنا العقاد :

لا تكنن موئلًا لآمال قوم سوف تُمنى بأسهم منك بعد
وأخفْ ما استطعت منهم يخالوا أمنهم من أذاك غنما يعد

ويقول على بن الجهم :

يا أيها المطلق آماله من دون آمالك آجالُ
كم أبلت الدنيا وكم جددت منا وكم تبلى وتغتالُ
ما أحسن الصبر ولا سيما بالحر إن ضاقت به الحال

ويقول مكنف بن معاوية :

ترى المرءَ يأملُ ما لن يرى ومن دون ذلك ريب الأجلْ
وكم آيس قد أتاه الرجا وذى طمعٍ قد لواه الأملْ

وتقول السيدة/ عائشة التيمورية :

كم ذا نهىء بالأمال أنفسنا حتى كأن الفتى طول المدى باق
وانظر تر الناس سكرى غفلة عظمت أدارها الدهر واستغنى عن الساق
وما الحظ الا امتلاكُ المرءِ عفته وما السعادة إلا حسن أخلاق

ويقول شوق :

الأمانى حلمٌ فى يقظةٍ والمنايا يقظة من حلم

ويقول هبة الله بن عرام :

نميل مع الآمالِ وهى غرورُ ونطمعُ أن تبقى وذلك زورُ
وتخدعنا الدنيا القليل متاعها وللشيبِ فينا واعظٌ ونذيرُ
وتزدادُ فيها كل يوم تنافسا وحرصًا عليها والمرادُ حقير
ونسلب ما لا يستطاع وجوده وللموت منا أولٌ وأخيرُ

(٧٣) الناتج عن خشوع القلب واطمئنانه .

يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة ،وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله:﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾[٧٤]، وقد سبق بعض ما قاله السلف فى تفسير الخشوع فى الصلاة،وقال ابن لهيعة عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ يعنى : متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من شماله ،ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل. وقال ابن المبارك عن أبى جعفر عن ليث عن مجاهد فى قوله تعالى :﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾[٧٥] قال : القنوت[٧٦] الركون والخشوع وغض البصر وخفض الجناح[٧٧] من رحمة الله تعالى ، قال : وكان العلماء إذا قام أحدهم فى الصلاة هاب[٧٨]

---

(٧٤) المؤمنون : ١ ، ٢ .

(٧٥) البقرة : ٢٣٨ .

(٧٦) القنوت فعلها (قنت) وأصله الطاعة وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحًا نؤتها أجرها مرتين ﴾ [٣١/ الأحزاب]
﴿ يا مريم أقنتى لربك واسجدى وأركعى مع الراكعين ﴾ [٤٣/ آل عمران] .
﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ... ﴾ [٩/ الزمر] .
﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين .. ﴾ [١٢٠/ النحل] .
﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ [٣٤/النساء] .
﴿ .. عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات ﴾ [٥/التحريم] .
﴿ ... سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [١١٦/ البقرة] .
﴿ وله من فى السموات والأرض كل له قانتون ﴾ [٢٦/ الروم] .
﴿ وقوموا لله قانتين ﴾ [٢٣٨/البقرة] .
﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ [١٧/ آل عمران] .
﴿ والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ﴾ [٣٥/ الأحزاب] .
﴿ وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ [١٢/ التحريم] .
والقنوت الطاعة لله سبحانه وتعالى ، ثم سمى القيام فى الصلاة قنوتاً .
وفى الحديث الشريف « أفضلُ الصلاة طول القنوت » ــ ومنه قنوت الوتر .

(٧٧) بذلك جعل معنى القنوت يفيد العموم والشمول فهو الركون إلى الله تعالى ، والخشوع ، وعدم النظر إلى ما حرم الله ، والتواضع ــ كل ذلك من رحمة الله تعالى .

(٧٨) خاف وخشى ، من أن يلفت نظره إلى شىء من الأشياء ، وعلى سبيل المثال أن يعبث بشىء مثل الحصى ، أن يتذكر أمراً من الأمور ، أو يحدث نفسه بشىء من أمور الدنيا الفانية .

الرحمن عز وجل عن أن يشد نظره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء ، أو يحدث نفسه بشيءٍ من أمر الدنيا إلا ناسياً مادام فى صلاته . وقال منصور عن مجاهد رحمه الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿**سيماهم فى وجوههم من أثر السجود**﴾[٧٩] قال: الخشوع فى الصلاة. وخرج الإمام أحمد والنسائى والترمذى من حديث الفضل بن عباس رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ قال : « **الصلاة مثنى مثنى ، تشهد فى كل ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسكن ، وتقنع يديك**[٨٠] ، **يقول: ترفعهما إلى ربك عز وجل وتقول يا رب يا رب يا رب فمن لم يفعل ذلك فهى خداج**[٨١] »

---

(٧٩) الفتح : ٢٩ ـ وقد أورد ابن كثير هذا القول فى تفسيره (٤/٢٠٤) عن منصور ، عن مجاهد قال : الخشوع ، قلت : ما كنت أراه إلا هذا الأثر فى الوجه يقصد بذلك العلامة التى تكون فى الوجه من كثرة السجود لله تعالى .

وربما كان بين عينيه ـ أى العلامة ـ من هو أقسى قلباً من فرعون .

وكم من دعى يتباهى بهذه العلامة ، وقلبه ملىء بالنفاق ، والغش والغرور .

فمطلوب الصلاة هو الخشوع والتواضع لله ، والسجود هو الذى يحدث هذا الخشوع الذى تظهر علاماته على وجه العبد .

(٨٠) إقناع اليد : هو رفعهما فى ذل وخضوع .

ومنه قوله تعالى عن الظالمين : ﴿ مقنعى رؤوسهم﴾ [٤٣/ إبراهيم] .

والصلاة مثنى مثنى ، تشهد كل ركعتين ، وتخشع وتضرع وتمسكن ، وتقنع يديك . ومعنى تخشع من (خشع) والخشوع هو الخضوع . ويقال : (خشع) و (اختشع) و (خشع) ببصره أى غضه .

و (الخشعة) أكمة متواضعة .

وفى الحديث : « كانت الأرض خشعة على الماء ثم دحيت » ـ و (التخشع) تكلف الخشوع .

وتضرع من ضرع أى خضع وذل . وتضرع إلى الله تعالى أى ابتهل له جل شأنه .

والتمسكن من السكون أى الوداع والوقار .

والمسكين هو الفقير الذى يغلق عليه داره ولا يسأل الناس إلحافًا . عطوه أو منعوه .

ولا يسأل ولا يفطن إليه فيعطى .

وليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ، وإنما المسكين الذى لا يسأل الناس ، ولأنه لا يسأل ، لا ينتبه الناس إليه فيعطوه .

وقد تكون المسكين بمعنى الذلة والضعف .

(٨١) الخداج عما قال الأصمعى : النقصان ، وأصل ذلك ، من خداج الناقة إذا ولدت ولدا ناقص الخلق أو لغير تمام كما جاء فى لسان العرب لابن منظور [١١٠٨] .

هـذه كفـارة الذنـوب

وفى صحيح مسلم عن عثمان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : «مامن أمرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة[٨٢] لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة ، وذلك الذهر كله »[٨٣] .

ومما يظهر فيه الخضوع والذل والانكسار من أفعال الصلاة وضع اليدين إحداهما على الأخرى فى حال القيام وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن المراد بذلك فقال هو ذل بين يدى عزيز[٨٤] .

= والخديج هو المولود قبل تمام الأيام ، إن كان تام الخلق .

وفى الحديث : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهى خداج » وأم الكتاب هى الفاتحة ، وخداج أى ناقصة .

ويقول العرب (أخدجت) الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإن كانت أيامه تامة فهى (مخدج) بضم الميم وتسكين الخاء وكسر الدال وضم الجيم .

(راجع المختار الصحاح للرازى مادة [خدج] ص ١٧٠) .

والحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (٢١١/١) ، والترمذى (١٧٥/٢) كتاب الصلاة كلاهما عن الفضل بن عباس وسكت الترمذى عليه .

وبحثت فى سنن النسائى فلم أقف عليه .

وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/٤) ، وابن ماجه (٤١٩/١) كتاب إقامة الصلاة (١٣٣٥) عن المطلب ــ يعنى ابن أبى وداعة .

وقد أخرجه أبو داود (٢٩/٢) أبواب التطوع (١٢٩٦) ، ووقع منه أن إسمه عبد المطلب ، قال الحافظ العراقى فى تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين للغزالى (١٥٠/١) .

أخرجه الترمذى والنسائى بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب .

(٨٢) إلا كانت ماحية لما قبلها من الذنوب ، مالم يرتكب المرء كبيرة ، ويظل ذلك الزمن كله ــ والله أعلم .

(٨٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (٢٠٦/١) كتاب الطهارة ، حديث رقم (٧) عن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه .

(٨٤) قال الشوكانى (محمد بن على) فى كتابه : « نيل الأوطار (١٨٧/٢) نشر مكتبة الدعوة الإسلامية ـ بدون تاريخ » =

قال على بن محمد المصرى الواعظ رحمه الله تعالى : ماسمعت فى العلم أحسن من هذا[٨٥] . وروى عن بشر الحافى[٨٦] رحمه الله تعالى قال : (اشتهى) منذ اربعين سنة أن أضع يدًا على يد فى الصلاة ما يمنعنى إلا أن يكون قد أظهرت من الخشوع ماليس فى القلب مثله »وروى محمد بن نصر المروزى رحمه الله تعالى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم فى الصلاة»، وفسره بعض رواته بقبض شماله بيمينه وانحنى .

وبإسناده عن أبى صالح السمان رحمه الله تعالى قال :«يبعث الناس يوم القيامة هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى» .

وملاحظة هذا المعنى فى الصلاة يوجب للمصلى أن يتذكر وقوفه بين يدى الله تعالى للحساب .

طهـارة وخشـوع القـلب

كان ذو النون رحمه الله تعالى يقول فى وصف العباد: «لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته فلما وقف فى محرابه واستفتح كلام سيده

= قال الحافظ ، قال العلماء : الحكمة فى هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل ، وهو أمنع للعبث وأقرب إلى الخشوع ، ومن اللطائف قول بعضهم : القلب موضع النية ، والعادة أن من حرص على حفظ شىء جعل يديه عليه .

(٨٥) [قال على بن محمد المصرى الواعظ رحمه الله تعالى : ما سمعت فى العلم بأحسن من هذا] هو على بن محمد المصرى ، علاء الدين ، فقيه واعظ ــ كانت وفاته نحو سنة (١١٢٧ هـ) وبملاحظة أن وفاة ابن رجب الحنبلى كانت فى عام (٧٩٥ هـ) ، نعرف أن العبارة التى بين القوسين ، عبارة أدخلت على كتاب الخشوع فى الصلاة لابن رجب الحنبلى ، ولعلها كانت تعليقاً على هامش النسخة ، فأدخلها الناسخ فى متن نص الكتاب ــ والله أعلم .

راجع فى ترجمته الأعلام للزركلى (١٦٨/٥) وهدية العارفين بأسماء الكتب والمؤلفين لاسماعيل البغدادى ــ طبع وكالة المعارف ــ إستامبول ١٩٥١ م (٧٧٣/١) .

(٨٦) بشر الحافى ــ زاهد متصوف ، ولد فى مرو عام ١٥٠ هـ الموافق (٧٦٧ م) وانتقل إلى بغداد ، واجتمع حوله كثير من المريدين وكانت وفاته عام (٢٢٧ هـ) الموافق (٨٤١ م) .

خطر على قلبه أن ذلك المقام الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل وعقله » . أخرجه أبو نعيم رحمه الله تعالى .

ومن ذلك إقباله على الله عز وجل وعدم التفاته إلى غيره،وهو نوعان : **أحدهما** : عدم التفات قلبه إلى غير ما هو مباح له وتفريغ القلب للرب عز وجل .

وفى صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة-رضى الله عنه-عن النبى ﷺ إنه قال فى فضل الوضوء وثوابه ثم قال: «فإن هو قام وصلى فحمد الله وأثنى عليه،ومجده بالذى هو أهله،وفرغ قلبه لله انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه »[٨٧] **الثانى** : عدم الالتفات بالنظر يمينًا وشمالاً ، وقصر النظر على موضع السجود ، وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته . ولهذا رأى بعض السلف مصلياً يعبث فى صلاته فقال :«لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»وسبق ذكره.وخرج الطبرانى من حديث ابن سيرين[٨٨] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يلتفت فى

---

(٨٧) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه (٥٧١/١) كتاب صلاة المسافرين (٢٩٤) فى حديث طويل وفيه « هوله أهل «بدل« هو أهله » و « كهيئة يوم « بدل « كيوم » .
وقد أورده المنذرى فى كتابه المشهور « الترغيب والترهيب » [٩٥/١] وعزاه إلى عمرو بن عنبسة بزيادة نون . وهو خطأ .

قال النووى فى كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » [المطبعة المنيرية] (٣٢/٢) : « ورأيت جماعة ممن صنف فى ألفاظ المهذب يزيدون فيه نونًا وهو غلط فاحش ومنكر ظاهر » . ا . هـ .
ويذكر « عمرو بن عبسة » أو « عمرو بن عنبسة » أبو نجيح روى له مسلم حديثا واحدًا ، وروى له أبو داوود (٤) أحاديث ، والترمذى : (١١) حديثاً ، والنسائى (٥) أحاديث ، وابن ماجه : (٥) أحاديث ، وأحمد بن حنبل فى مسنده (٦) أحاديث ــ حسب ما وجدت فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .
(٨٨) محمد بن سيرين صاحب كتاب تفسير الأحلام المشهور ، وهو من علماء السنة الأجلاء المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى .

صلاته عن يمينه وعن يساره ثم أنزل الله تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾[٨٩] فخشع رسول الله ﷺ فلم يكن يلتفت يمنه ولا يسره »[٩٠]، ورواه غيره عن ابن سيرين رحمه الله تعالى مرسلًا وهو أصح .

وخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت :«كان الناس فى عهد النبى ﷺ اذا قام أحدهم يصلى لم يعد[٩١] بصره موضع قدميه فتوفى رسول الله ﷺ فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره موضع جبينه ،[فتوفى أبو بكر وكان عمر] رضى الله عنه[٩٢] فكان الناس إذا قام أحدهم يصلى لم يعد بصره موضع القبلة .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه فكانت الفتنة[٩٣] فالتفت الناس يمينًا وشمالاً »[٩٤] .

---

(٨٩) المؤمنون : ١ ، ٢ .

(٩٠) أورده أبو بكر محمد بن موسى الحازمى فى كتابه « الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار » أصدرته دار إحياء التراث العربى فى بيروت فى طبعة مصورة على طبعة إدارة الطباعة المنيرية (١٣٤٦ هـ) وقد اطلعت عليها فى دار الكتب المصرية .

يقول الحازمى (ص ٦٠) الحديث عن ابن سيرين مرسلًا بلفظ :كان رسول الله ﷺ إذا قام فى الصلاة نظر هكذا وهكذا ، فلما نزلت ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآية .

ولم يكن يلتفت يمنة ولا يسرة ، ينظر ببصر نحو الأرض .

قال الحازمى : وهذا وإن كان مرسلًا غير أن له شواهد فى الأحاديث الثابتة تشهد له .

وقال السيوطى فى كتابه « أسباب النزول » فى (ص ١٢١) : أخرج الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ فطأطأ رأسه ، وأخرجه ابن مردويه بلفظ : كان يلتفت فى الصلاة .

(٩١) لم يعد بصره : أى لم يتجاوز بصره موضع قدميه من شدة الخشوع .

(٩٢) فى الأصل : فتوفى عمر ، والتصويب من سند ابن ماجه فى سننه (٥٢٣/١) : [فتوفى أبو بكر وكان عمر رضى الله عنه] .

(٩٣) فى الأصل : ثم توفى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكانت الفتنة ، والعبارة الصحيحة : [وكان عثمان بن عفان فكانت الفتنة] من سنن ابن ماجه (٥٢٣/١) .

(٩٤) أخرجه ابن ماجه فى سننه (٥٢٣/١) كتاب الجنائز عن أم سلمى رضى الله عنها .

وفى مجمع الزوائد : فى إسناده مصعب بن عبد الله ، وذكره ابن حبان فى الثقات=

إحـذر أن يختلسـك الشـيطان

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى اللهعنها »سألت النبى ﷺ عن الالتفات فى الصلاة فقال : « **هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** »[٩٥] .

وخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وأبو داود رحمه الله تعالى ، والنسائى رحمه الله تعالى[٩٦] من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى لله قال : « **لا يزال الله مقبلًا على العبد فى صلاته مالم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه** »[٩٧] وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث الحارث الأشعرى

= قال العجلى : ثقة ، وموسى عبد الله لم أر من جرحه ولا وثقه .

ومحمد بن إبراهيم ذكره ابن حبان فى الثقات .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٩٢/١) : رواه ابن ماجه بإسناد حسن إلا موسى بن عبد الله بن أبى أمية المخزومى لم يخرج له من أصحاب الكتب الستة غير ابن ماجه ، ولا يحضر فى فيه جرح ولا تعديل .

وأقول أن موسى بن عبد الله بن يزيد هذا روى له أحمد بن حنبل فى مسنده (٤٣٥/٦) حديثاً واحدا ولم يشر أصحاب المعجم المفهرس إلى الحديث الذى رواه ابن ماجه فى سننه عن موسى بن عبد الله ابن يزيد . والله أعلم .

(٩٥) حديث أخرجه البخارى (١٣٧/١) كتاب الآذان . وأبو داود فى سننه (٢٣٩/١) كتاب الصلاة (٩١٠) ، والنسائى (٨/٣) كتاب السهو (١١٩٦) كلهم رووه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

قال الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) نشر مكتبة الدعوة الإسلامية (٣٣٣/٢) : « والحكمة فى التفير عنه ما فيه من نقص الخشوع والإعراض عن الله سبحانه وتعالى وعدم التصميم على مخالفة وسوسة الشيطان » .

(٩٦) [وأبو داوود رحمه الله تعالى ، والنسائى رحمه الله تعالى] ما بين القوسين ناقص فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب .

(٩٧) أخرجه أبو داوود بهذا اللفظ عن أبى ذر الغفارى (٢٣٩/١) كتا الصلاة (٩٠٩) ، وكذا أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده (١٧٢/٥) ، والنسائى (٨/٣) كتاب السهو (١١٩٥) ، والدارمى (٣٣١/١) كتاب الصلاة كلهم عن أبى ذر بلفظ : « لا يزال الله مقبلًا على العبد فى صلاته مالم يلتفت فإذا صرف وجهه انصرف عنه » .

كما أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٩٠/١) بلفظ أحمد وعزاه لأحمد وأبى داوود=

عن النبى ﷺ « **أن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن فذكر منها«وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا** »[٩٨] .

وفى المعنى أحاديث أخرى متعددة وقال عطاء: سمعت أبا هريرة[٩٩]

=والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وصححه .

(٩٨) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (١٣٠/٤) ، والترمذى (٣٠٣/١٠) كتاب الامثال ، كلاهما عن الحارث الأشعرى ، قال الترمذى فى سننه : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وأورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٨٩/١) ثم قال رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى بعضه وابن خزيمة ،وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح عل شرط البخارى ومسلم .

قال الحافظ : وليس للحارث فى الكتب الستة سوى هذا .

واعتقد أن الحارث هذا الحارث بن الحارث الأشعرى روى له الترمذى فى كتاب الأدب/ ٧٨ ، وروى له أحمد بن حنبل ١٣٠/٤ و ٢٠٢ . والله أعلم .

(٩٩) كان رضوان الله عليه عابدًا ، زاهدًا ، كثير الصلاة والذكر والاستغفار ، شديد المراقبة لله تعالى ، وهذا يتناقض مع استباحة الكذب على رسولنا الكريم كما يزعم من يوجه الذم لهذا الرجل الجا ، كى ينفذ إلى إنكار السنة النبوية ككل . لقد عرف القوم أبا هريرة وعرفوا قدره وتقواه فقدموه ليصلى على عائشة رضى الله عنها ، وفى رواية موثوق بها أنه صلى على أم سلمى رضى الله عنها .

لم يكن للرجل قصر كما قال من لا خلاق لهم فى عصرنا الحديث ، إنما كانت له دار ، والدار لا تدل على أى نوع من الرخاء أو الرفاهية . وقد استباح بعض الذين هاجموا هذا الصحابى الجليل ، فحرفوا الكلمة وجعلوها قصراً بدل دار كما نص على ذلك ابن الأثير صاحب كتاب الكامل فى التاريخ .

كان رضوان الله عليه مقلًا من الدنيا يتصدق بما يصل إلى يده من مال . بعث إليه مروان بن الحكم بمائة دينار كى يختبره بها ، فلما صبح الصباح أرسل إليه ، وقال له إنى غلطت ولم أردك بها ، وانى إنما أردت غيرك فقال أبو هريرة : قد أخرجتها ، فإذا خرج عطائى فخذها منه .

وقف أبو هريرة رضى الله عنه مواقف لا تدل على أن له أى أهواء سياسية ، منها أنه عارض مروان ابن الحكم والى المدينة يوم أراد المسلمون دفن الحسن بن على رضى الله عنهما مع جده المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وعارض مروان ذلك . قال له أبو هريرة يوم ذاك : تدخل فيما لا يعنيك ؟... ووقف ضد الثوار مع الصحابة يدافع عن ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه المفترى عليه ... ووقف محايداً فى الفتنة التى قامت بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، ولم ينضم إلى أحد الفريقين لمطمع سياسى يظفر به لو غلب الذى وقف بجانبه .

كان رضى الله عنه وأرضاه موضع ثقة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وكانت أحاديثه محل عناية جميع الفقهاء ، وأئمة المجتهدين فى مختلف الأمصار الإسلامية=

يقول: « إذا صلى أحدكم فلا يلتفت فإنه يناجى ربه إن ربه[100] أمامه وإنه يناجيه فلا يلتفت قال عطاء[101] رحمه الله تعالى: وبلغنا أن الرب عز وجل يقول يا بن آدم إلى من تلتفت،أنا خير لك ممن تلتفت إليه » وخرجه البزار وغيره مرفوعًا ، والموقوف أصح[102] .

= حقاً لقد كانت كثرة أحاديثه محل استغراب وتعجب من بعض الناس لتأخر إسلامه وقصر مدة صحبته لرسولنا الكريم ، ولكنهم مع هذا كانوا يعرفون السبب الحقيقى فى كثرة أحاديثه ..

قال عنه عبد الله بن عمر : هو أعلمنا برسول الله وأحفظنا بحديثه .

ويؤكد طلحة بن عبيد الله أن أبا هريرة قد سمع من رسول الله مالم يسمع الصحابة ، وعلم مالم يعلموا ، وأنهم كانوا قومًا أغنياء لهم بيوتات وأهلون ، وكانوا يأتون رسول الله طرفى النهار ، ثم نرجع ، أما أبو هريرة فكان معه حيثما دار ، لذلك لم يشكوا لحظة واحدة فى أن أبا هريرة علم مالم يعلمه الصحابة ، وسمع مالم يسمعوه

وإننى أدعو المؤمنين فقط أن يأخذوا بسنة رسول الله التى رواها هذا الرجل الورع .

لقدعرف الرسول فيه حرصه على الحديث وأخذه وحفظه فقال له (صلعم) يومًا لقد ظننت يا أبا هريرة الا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث .

إن أحاديث أبى هريرة قد محصها جميع أئمة السنة وبينوا بجلاء ما صح منها ، وما هو ضعيف أو موضوع . ولم تصح نسبة حديث واحد من الموضوع أو الضعيف إلى أبى هريرة البتى الطيب ، وإنما كان ذلك من بعض الرواة . والصحيح منها إذا درس وقورن بأحاديث الصحابة تبين أنه لم ينفرد منه إلا بالقليل فمسنده شائع فى المسانيد كلها .

(١٠٠) [إنَّ ربه] : ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة .

(١٠١) (عطاء) هو إسم لأكثر من رجل ثقة رووا أحاديث المصطفى ﷺ : عطاء مولى أبى أحمد ، عطاء رجل من بنى شيبه ، عطاء الخراسانى المسمى عطاء بن أبى مسلم أو عطاء بن أبى رباح أبو محمد ، عطاء بن السائ ، وعطاء الشامى ، وعطاء بن فروخ ، وعطاء بن أبى ميمونة ، وعطاء بن يزيد الليثى ، وعطاء بن يسار .

و من روى الأحاديث المطهرة منهم : عطاء بن أبى رباح أبو محمد ، ويليه عطاء بن يسار .

(١٠٢) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب (١٩١/١) عن أبى هريرة وعزاه إلى البزار . وكذا الهيثمى .

وفى كتاب « كشف الأستار عن زوائد البزار » تأليف : نور الدين الهيثمى ، والذى حققه الأستاذ/ حبيب الرحمن الأعظمى (مؤسسة الرسالة) [٢٦٧/١].

حديث رقم (٥٥٣) ــ قال البزار : رواه طلحة بن عمرو بن عطاء عن أبى هريرة موقوفًا .

وقال الأستاذ/ الأعظمى محقق كشف الاستار . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : رواه البزار وفيه إبراهيم بن يزيد الخوذى .

وقال أبو عمران الجونى[١٠٣] رحمه الله تعالى : « أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام:إذا قمت بين يدى فقم مقام العبد الحقير الذليل،وذم نفسك فهى أولى بالذم،وناجنى بقلب وجل ولسان صادق»[١٠٤]،ومن ذلك الركوع،وهو ذل بظاهر الجسد،ولهذا كانت العرب تأنف منه ولا تفعله حتى بايع بعضهم النبى ﷺ أن لا يخر إلا قائما[١٠٥] يعنى يسجد من غير ركوع كذلك فسره الإمام أحمد رحمه الله تعالى والمحققون من العلماء وقال الله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون** ﴾[١٠٦] وتمام الخضوع فى الركوع أن يخضع القلب لله ويذل له،فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ولهذا كان النبى ﷺ يقول فى ركوعه « **خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وما استقل به قدمى**[١٠٧] » إشارة إلى أن خشوعه فى ركوعه قد حصل بجميع

---

(١٠٣) عبد الملك بن حبيب الأزدىُّ الجونى أبو عمران : روى له البخارى فى كتاب المغازى/ ٣٨ ، ومسلم فى كتاب العلم/ ٢ ، وفى مسند أحمد ٧٩/٥ .

(١٠٤) الحديث أورده الإمام أحمد فى كتاب « الزهد » ص ٨٥ عن أبى عمران الجونى عن أبى الجلد : أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام : « إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك ، وكن عند ذكرى خاشعًا مطمئنًا ، فإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك ... » الخبر .

وكذا أورده الغزالى فى إحياء علوم الدين ولم يعزه لأحد (١٦٣/١) .

(١٠٥) أخرجه النسائى (٢٠٥/٢) كتاب التطبيق (١٠٨٤) : سمعت يوسف بن ماهك يحدث عن حكيم قال : بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر إلا قائماً .

قال السندى فى شرحه على سنن النسائى (أبو عيسى محمد بن سورة) : قوله (أن لا أخر) من الخرور وهو السقوط أى لا أسقط إلا قائماً ، أى أرجع من الركوع إلى القيام ثم أخر منه إلى السجود ولا أخر من الركوع إليه .

ويقول السندى : هذا هو المعنى الذى فهمه النسائى ، ثم ذكر فيه معانى أخرى ، وبالجملة فالحديث مما أشكل على الناس فهمه وما أشار إليه النسائى أحسن .

وفى رأينا أنه هو نفس المعنى الذى ذهب إليه ابن زجب الحنبلى فى الكتاب الذى معنا .

(١٠٦) المرسلات : ٤٨ .

(١٠٧) سبق لنا تخريج هذا الحديث فى نفس الكتاب .

جوارحه ومن أعظمها القلب الذى هو ملك الجوارح والأعضاء فإذا خشع خشعت الجوارح والأعضاء كلها تبعًا له ولخشوعه،ومن ذلك السجود وهو أعظم ما يظهر فيه ذل العبد لربه عز وجل حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزها عليه وأعلاها حقيقة أوضع ما يمكنه ، فيضعه فى التراب متعفرًا ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل . ولهذا كان جزاءء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقربه الله عز وجل إليه»فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[١٠٨] كما صح ذلك عن النبى ﷺ قال الله تعالى : ﴿ **واسجد واقترب**[١٠٩] ﴾ .

---

(١٠٨) حديث أخرجه مسلم (١/٣٥٠) كتاب الصلاة (٢١٥) ، وأبو داوود (١/٢٣١) . كتاب الصلاة (٨٧٥) ، والنسائى (٢/٢٦٦) كتاب التطبيق (١١٣٧) . كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ .

ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ ــ وساقه ــ ورواه ابن النجار عن عائشة والطبرانى عن ابن مسعود بلفظ : أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً .

(١٠٩) العلق : ١٩ .

- احذر أن يختلسك الشيطان
- السجود خشوع
- أنواع العبادات التى يظهر فيها الخضوع
- معنى المساكين
- فضل مقام العبودية

السجود خشوع

والسجود أيضا مما كان يأنف منه المشركون المستكبرون عن عبادة الله عز وجل ، وكان بعضهم يقول : أكره أن أسجد فتعلونى إستى[١١٠] ، وبعضهم يأخذ كفا من حصى فيرفعه إلى جبهته ويكتفى بذلك عن السجود. وإبليس إنما طرده الله لما استكبر عن السجود لمن أمره الله بالسجود له ، ولهذا يبكى إذا سجد المؤمن ويقول أُمر ابن آدم بالسجود ففعل فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار[١١١] ... ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له فى ركوعه وسجوده أنه إذا ذل لربه بالركوع والسجود وصف ربه حينئذ بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو فكأنه يقول : الذل والتواضع وصفى ، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك ،ولهذا شرع للعبد فى ركوعه أن يقول سبحان ربى العظيم،وفى سجوده سبحان ربى الأعلى[١١٢] وكان النبى ﷺ أحيانا يقول فى سجوده: سبحان ذى الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة[١١٣]» وروى عنه ﷺ أنه قال ليلة فى سجوده **أقول كما قال**

---

(١١٠) الإست هو العجز ، وقد يراد به فتحة الشرج (حلقة الدبر) ، والجمع استاه [راجع لسان العرب لإبن منظور/ ١٩٣٦] .

(١١١) حديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان/١٣٣ ، وابن ماجه كتاب الإقامة/٧٠ ، وابن حنبل فى مسنده ٤٤٣/٣ .

وهذه رواية مسلم : عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويله ، أمر ابن آدم بالسجود فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت ، فلى النار » .

وفى رواية : « ... يقول يا ويلى .. » وهى رواية أبى كريب .

وبهذا الإسناد مثله غير أنه قال : « فعصيت فلى النار » .

(١١٢) حديث أخرجه ابن ماجه (٢٨٧/١) كتاب إقامة الصلاة (٨٩٠) عن ابن مسعود .

وكذا أخرجه أبو داوود (٢٣٠/١) كتاب الصلاة (٨٧١) ، وابن ماجه (٢٨٧/١) حديث (٨٨٨) ولكن عن حذيفة بن اليمان .

(١١٣) اخرجه أبو داوود (٨٧٣/١) كتاب الصلاة (٨٧٣) ، والنسائى (٢ ٢٢٣) كتاب =

أخى داود عليه السلام أعفر وجهى فى التراب لسيدى ، وحق لسيدى أن تعفر الوجوه له » قال الحسن رحمه الله تعالى : « إذا قمت إلى الصلاة فقم قانتاً فقم كما أمرك الله ، وإياك والسهو والالتفات . إياك أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره وتسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه لا تدرى ما تقول بلسانك » أخرجه محمد بن نصر المروزى رحمه الله تعالى. وروى بإسناده عن عثمان بن أبى أوس قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ صلى صلاة جهر فيها بالقراءة، فلما فرغ قال : « **هل أسقطت من هذه السورة شيئاً قالوا لا ندرى فقال أبى بن كعب نعم آية كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : ما بال أقوام يتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يتلى عليهم مما يترك ؟ هكذا أخرجت عظمة الله من قلوب بنى إسرائيل ، شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ولا يقبل الله من عبد عملاً يشهد بقلبه مع بدنه**[١١٤] والآثار فى هذا المعنى كثيرة جداً ومر عصام

= التطبيق (١١٣٢) عن عوف بن مالك من حديث طويل بلفظ : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » فى الركوع والسجود وقد أورده النووى فقال : روينا عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال قمتُ مع رسول الله ﷺ فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ . قال : ثم ركع بقدر قيامه ، يقول فى ركوعه : سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم قال فى سجوده مثل ذلك » .

ويعلق النووى على الحديث قائلا : « هذا حديث صحيح رواه أبو داوود والنسائى فى سننهما ، والترمذى فى كتاب الشمائل بأسانيد صحيحة » [باب أذكار الركوع] .

راجع فى ذلك تحقيقنا لكتاب « الاذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ــ ﷺ » للإمام الزاهد الورع « محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى » والمتوفى (٦٧٦ هـ) والذى ذيلناه بمختصر لشرح العلامة : محمد بن على بن علان بن ابراهيم بن محمد بن علان البكرى الصديقى الشافعى المتوفى (١٠٥٧ هـ) وهو لمكتبة القرآن بالقاهرة .

•• وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أنه قد وقع خلط فى طبعة المكتبة القيمة لهذا الكتاب ، وذلك فى تخريج هذا الحديث والذى قبله ــ راجع ص (٢٦) هامش (٤١) و (٤٢) من الطبعة المشار إليها .

(١١٤) حديث أورده الغزالى فى إحياء علوم الدين (١/١٧٢) بلفظ فيه طول .

قال الحافظ العراقى فى تخريجه : رواه محمد بن نصر فى كتاب الصلاة مرسلا ، وأبو منصور=

ابن يوسف رحمه الله تعالى بحاتم الأصم،وهو يتكلم فى مجلسه،فقال: يا حاتم تحسن تصلى قال : نعم : قال : كيف تصلى ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ،وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقر بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف ، أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد إلى الموت ، قال : تكلم فأنت تحسن تصلى[١١٥]

فصل :فى أنواع العبادات التى يظهر فيها الخضوع

ومن أنواع العبادات التى يظهر فيها الذل والخضوع لله عز وجل الدعاء.قال الله تعالى : ﴿ **أدعوا ربكم تضرعًا وخفية**[١١٦] ﴾ وقال : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾[١١٧] فمما يظهر فيه من الذل رفع اليدين.وقد صح عن النبى ﷺ رفع يديه من الدعاء فى مواطن كثيرة وأعظمها فى الاستسقاء[١١٨]

=الديلمى من حديث أبى بن كعب ، ورواه النسائى مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى بإسناد صحيح .

(١١٥) راجع مادار بين عصام بن يوسف وحاتم الاصم فى إحياء علوم الدين للغزالى (١ / ١٥١) .

(١١٦) الأعراف : ٥٥ ــ قال ابن كثير (٢/٢٢١) ناقلًا عن ابن جرير : (تضرعًا) تذللًا واستكانة لطاعته ، و (خفية) يقول : بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارًا عيانًا .

(١١٧) الأنبياء : ٩٠ .

(١١٨) تتعرض البلاد الصحراوية أحيانًا والبلاد التى تعتمد مزارعها على رى الأمطار لأن يشح ماؤها ، أو يقل مطرها ، أو تغور عيونها وآبارها ، ويصيب أهلها بسبب عدم كفاية الماء لهم كرب عظيم ، لما يلاقونه من الجدب والقحط ، وما يقاسون هم ودوابهم من الظمأ ، وما تستهدف له زراعتهم وماشيتهم من هلاك ، ولا يجد الناس مخرجاً لهم من محنتهم هذه إلا بالإلتجاء إلى الله سبحانه وتعالى ، يستغفرونه ويتوبون إليه ، ويتضرعون إليه تعالى طالبين الغوث منه بالسقيا ، قال تعالى :

=كتابه العزيز مصداقًا لذلك : ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفارًا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ [نوح : ١٠ ، ١١] .

وكان الناس على عهد رسولنا الكريم إذا قحطوا استنجدوا به . وطلبوا إليه أن يدعو ربه لينزل الغيث ، فقد روى أن رسول الله ﷺ صلى الجمعة فقام رجل فقال : يا رسول الله ! أجدبت الأرض ، وهلكت المواشى ، فاستسق لنا الغيث ، وفى بعض الروايات أنه أنشده شعراً منه :

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وليس لنا إلا إليك فرارنا وليس فرار الناس إلا إلى الرسل

فبكى النبى ﷺ حتى اخضلت لحيته الشريفة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، عذباً طيبا نافعاً غير ضار ، عاجلًا غير آجل ، فما ردَّ رسول الله ﷺ يده الشريفة إلى صدره حتى أمطرت السماء ، وجاء أهل البلد يصيحون : الغرق ، الغرق ! يا رسول الله ، فضحك رسولنا الكريم حتى بدت نواجذه ، وقال : « اللهم حوالينا ، ولا علينا » فاستجابت السماء بأمر الله تعالى

وصلاة الاستسقاء ركعتان كصلاة العيدين فى الجهر والتكبير والقراءة ، ويسن أن يقرأ الإمام سورة نوح ، وأن يأمرهم قبل الخروج لهذه الصلاة بالتوبة والصدقة ، والكف عن المظالم ، ونبذ العداوات ، وصيام ثلاثة أيام : ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع صيامًا ، فى خشوع وفى ثياب خلقة متذللين ، ومعهم الصبيان والشيوخ والعجائز والدواب ، ويبعدون الرضع عن أمهاتهم ، حتى يعلو صياحهم وبكاؤهم ، فيكون ذلك أدعى لرحمة الله تعالى .

فقد قال رسول الله الكريم (صلعم) : « لولا أطفال رضع ، ومشايخ ركع ، وبهائم رفع ، لصب عليكم العذاب صبا » .

وعند الشافعية يندب للإمام أن يتوجه إلى القبلة فى نحو ثلث الخطبة الثانية ، ويحول رداءه بأن يجعل يمنى الرداء يساره ، وأعلاه أسفله ، ويقلب الحاضرون أرديتهم كذلك إلا النساء ، ويكثر الدعاء والاستغفار ، ويدعو بدعاء رسول الله ﷺ : « اللهم سقياً رحمة ، لا سقيا عذاب ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب (التلال الصغيرة) والآكام ومنابت الشجر وبطون الأودية ، اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم أسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئا مريعًا ، غدقاً مجللًا (عمقها وطبقها) سحا طبقاً دائماً ، اللهم أسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضنك مالا نشكو إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت من بركات الأرض ، واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فارسل السماء علينا مدرارا » .

هذا ، وقد أفرد الإمام النووى باباً كاملًا لأذكار الاستسقاء ، فيه فائدة جمة لمن أراد التعرف على هذه الصلاة وأحكامها والمأثور من أذكارها .

راجع كتاب الاذكار للنووى بتحقيقنا والذى سبق الاشارة إليه .

فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه[119] وكذلك كان يجتهد فى الرفع عشية عرفة بعرفة ، وخرج الطبرانى رحمه الله تعالى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال :«رأيت رسول الله ﷺ يدعو بعرفة ويداه إلى صدره كاستعطاء المسكين»[120] وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكنًا مطرقًا برأسه ويمد يديه كحال،السائل وهذا من أبلغ صفات الذل[121] وإظهار المسكنة والافتقار ، ومنه افتقار القلب فى الدعاء وانكساره لله عز وجل ، واستشعاره شدة الفاقة إليه،والحاجة لديه،وعلى قدر الحرقة والفاقة[122] تكون إجابة الدعاء ، وفى المسند والترمذى عن النبى ﷺ **«إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ»**[123] ومن ذلك إظهار الذل باللسان فى نفس السؤال والدعاء

---

(١١٩) حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى (١٨٢/١) فى الاستسقاء (٧) ، وكذا أخرجه أبو داوود (٣٠٣/١) فى الاستسقاء (١١٧٠) ، وابن ماجه (٣٧٣/١) إقامة الصلاة (١١٨٠) ، والنسائى (١٥٨/٣) فى الاستسقاء (١٥١٣) كلهم عن أنس بن مالك ، ولفظ البخارى : « كان النبى ﷺ لا يرفع يديه فى شىء من دعائه إلا فى الاستسقاء ، وإنه كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه » .

(١٢٠) لم أقف على هذه الرواية ، ولكن قد أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير (٣٣٢/٢) رقم (٢٣٨٦) : عن جرير قال : رأيت رسول الله ﷺ واقفاً بعرفة متأبطاً رداءه رافعاً يده لا يجاوزان رأسه وعضلتاه ترعدان .

(١٢١) الإسلام يدعو للتقوى والخشوع فى كل العبادات ، ولكنه فى نفس الوقت يرفض أن نجلس بالليل لا نتحرك ، رؤوسنا فى الأرض ، نمد أيدينا كحالة السائل ، ثم نصف ذلك بأنه أبلغ صفات الذل ، وإظهار المسكنة والافتقار ، ومنه افتقار القلب فى الدعاء وانكساره لله عز وجل ، واستشعاره شدة الفاقة إليه ، والحاجة لديه ، وعلى قدرة الحرقة والفاقة تكون إجابة الدعاء ... واعتقد أن كلام ابن رجب هذا فيه نظر والله أعلم .

(١٢٢) الفاقة هو الفقر والحاجة ، والمعنى المقصود الإحساس بها .

(١٢٣) حديث أخرجه الترمذى (٢٢/١٣) كتاب الدعوات بهذا اللفظ عن أبى هريرة رضى الله عنه .

قال الترمذى : هذا حديث غريب .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢٧٧/٢) : رواه الترمذى والحاكم وقال : مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرى وهو أحد زهاد البصرة .

قال الحافظ : صالح المرى لا شك فى زهده لكن تركه أبو داوود والنسائى . =

والإلحاح فيه. قال الأوزاعى[١٢٤] رحمه الله تعالى : كان يقال أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع إليه ، وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ دعا يوم عرفة فقال : « **اللهم إنك ترى مكانى، وتسمع كلامى، ولا يخفى عليك شيء، من أمرى، أنا البائس الفقير[المستغيث][١٢٥] ،المستجير ،الوجل المشفق ،المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال[١٢٦] المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه[١٢٧] وفاضت عيناه . اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقياً ، وكن بى رؤوفاً رحيمًا ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين** »[١٢٨] ؛ وكان بعضهم يقول فى دعائه بعزتك وذلى وبغناك وفقرى . وقال طاووس رحمه الله تعالى : دخل على بن الحسين

= وأخرجه أيضاً الإمام أحمد (١٧٧/٢) عن عبد الله بن عمرو بلفظ : « إن الله لا يستجيب لعبده دعاه عن ظهر قلب غافل » .

قال المنذرى (٢٧٧/٢) : رواه أحمد باسناد حسن .

(١٢٤) الأوزاعى : هو فقيه بلاد الشام ، عرف عنه التقوى والورع ، والدفاع عن الإسلام ضد من يتاجرون به ، ووقف أمام الظلم والظالمين لا يخشى فى الله لومة لائم .

(١٢٥) [المستغيث] ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة .

(١٢٦) الإبتهال هو التضرع ، وقيل فى قوله تعالى : ﴿ ثم نبتهل ﴾ أى نخلص فى الدعاء (راجع المختار الصحاح/ ٦٧) .

(١٢٧) رغم لك أنفه : أى ذل وانقاد لأن يمس به التراب ، واصله الرغام بفتح الراء وهو التراب (راجع أساس البلاغة للزمخشرى مادة رغم / بتصرف) .

(١٢٨) حديث أخرجه الطبرانى [أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى بتحقيق الأستاذ/ حمدى عبد المجيد السلفى ــ الطبعة الثانية] (١٧٤/١١) حديث (٥ ــ ١١٤) عن ابن عباس قال : « كان فيما دعا به رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ... » الحديث مع اختلاف قليل فى الألفاظ وتقديم وتأخير ، وأورده السيوطى فى كتابه الجامع الصغير (١١٨/٢) بشرح المناوى حديث (١٤٨١) ، وعزاه إلى الطبرانى عن ابن عباس ورمز له بالضعيف .

قال المناوى : قال ابن الجوزى : حديث لا يصح ، وقال الحافظ العراق : سنده ضعيف ، وبينه تلميذه الهيثمى فقال : فيه يحيى بن صالح الأيلى ، وقال العقيلى : له مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

رحمه الله تعالى ذات ليلة الحجرة فصلى فسمعته يقول فى سجوده عبيدك بغنائك ، فقيرك بغنائك مسكينك بغنائك [سألك بغنائك][129] قال طاووس : « فحفظتهن فما دعوت بهن من كرب إلا فرج عنى » خرجه ابن أبى الدنيا[130] وروى ابن باكويه الصوفى رحمه الله تعالى بإسناده له » أن بعض العباد حج ثمانين حجة على قدميه فبينما هو فى الطواف وهو يقول يا حبيبى ، وإذا بهاتف أليس ترضى أن تكون مسكيناً حتى تكون حبيباً ؟ قال : فغشى علىَّ ، ثم بعد ذلك أقول : مسكينك وأنا تائب عن قول حبيبى » .

فصل فى معنى « المساكين »

خرج ابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول فى دعائه : « **اللهم أحيينى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا، وأحشرنى فى زمرة المساكين**[131] » وخرج الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ مثله وزاد فقالت عائشة رضى الله عنها : لم يا رسول الله ؟ قال : « **لأنهم يدخلون الجنة قبل**

---

(١٢٩) [سائلك بغنائك] ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة .

(١٣٠) أخرجه ابن أبى الدنيا فى « كتاب الفرج بعد الشدة » (ص ٣٦) [طبعة مكتبة الصحابة] عن طاووس : إنى لفى الحجر ذات ليلة إذ دخل على بن الحسين ، فقلتُ : رجل صالح من أهل بيت الخير لاستمعن إلى دعائه الليلة ، فصلى ثم سجد ، فأصغيت بسمعى إليه فسمعته يقول فى سجوده :.... وساقه .

وأورده المبرد فى « الفاضل » [الفاضل لأبى العباس المبرد ــ تحقيق عبد العزيز الميمنى ــ ط . هيئة الكتاب ١٩٧٥ م] .

(١٣١) سبق لنا تخريج هذا الحديث فى نفس الكتاب ــ ونضيف هنا ، قال الاستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى محقق سنن ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى) ط دار الفكر (مصورة) [٢/١٣٨١] : فى الزوائد : أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجهول ، ويزيد بن سنان ضعيف ، والحديث صححه الحاكم وعده ابن الجوزى فى الموضوعات . قال العلاء : إنه ينتهى بمجموع طرقه إلى درجة الصحة ، وقال الحافظ ابن حجر : قد حسنه الترمذى لأن له شاهداً .

أغنيائهم بأربعين خريفًا . يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة[١٣٢] » وقال أبو ذر : أوصانى رسول الله ﷺ أن أحب المساكين وأن أدنو منهم ، خرجه الإمام أحمد وغيره[١٣٣] . وفى حديث معاذ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال فى قصة المنام : « **أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين** » وذكر الحديث[١٣٤] . والمراد بالمساكين فى هذه الأحاديث ونحوها من كان قلبه مسكينًا خاضعاً لله ، خاشعاً له ، وظاهره كذلك . وأكثر ما يوجد ذلك مع الفقر من المال ، لأن المال يطغى وحديث أنس رضى الله عنه يشهد بهذا إلا أن إسناده ضعيف . وخرج النسائى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الفقر فقر النفس ، والغنى غنى القلب »[١٣٥] وفى الصحيحين عن النبى إنه قال « **إن الغنى غنى النفس** »[١٣٦] ولهذا قال الإمام أحمد وابن عيينة وابن وهب وجماعة

---

(١٣٢) أخرجه الترمذى (٩/٢١٣) كتاب الزهد من رواية أنس ، وقال : هذا حديث غريب .

(١٣٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/١٥٩) بلفظ أمرنى خليلى ﷺ بسبع : أمرنى بحب المساكين والدنو منهم » وذكر الحديث بطوله عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه .

(١٣٤) حديث أخرجه الترمذى (١٢/١١٦) فى كتاب التفسير فى تفسير سورة (ص) عن معاذ ابن جبل فى حديث طويل وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه الترمذى كذلك عن ابن عباس مرفوعًا (١٢/١١٢) . وأخرجه الإمام مالك فى الموطأ (١/٢١٨) كتاب القرآن حديث رقم (٤٠) فى غير قصة المنام .

(١٣٥) هذا الحديث لم أعثر عليه فى سنن النسائى ، ولكن أورده الهيثمى فى كتابه « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » (ص ٦٢٤) عن أبى ذر الغفارى قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر . أترى كثرة المال هى الغنى ؟ قلتُ : نعم ، يا رسول الله ، قال : فترى [قلة] المال هو الفقر ؟ قلتُ : نعم ، يا رسول الله . قال : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب » .

كما أورده المنذرى لهذا اللفظ عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه فى الترغيب والترهيب (٢/١١) . وعزاه إلى ابن حبان فى صحيحه .

(١٣٦) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى (٤/١٢١) كتاب الرقاق ، ومسلم (٢/٧٢٦) كتاب الزكاة (١٢٠) ، وكذا أخرجه ابن ماجه فى سننه (٢/١٣٨٦) كتاب الزهد =

من الأئمة : إن الفقر الذى استعاذ منه النبى ﷺ فقر النفس فمن استكان قلبه لله عز وجل وخشع له فهو مسكين ، وإن كان غنياً من المال ، لأن استكانة القلب لا تنفك عن استكانة الجوارح ، ومن خشع ظاهره واستكان قلبه ليس بخاشع ولا مستكين فهو جبار . وفى الحديث الذى خرجه النسائى وغيره أن النبى ﷺ مر فى طريق وفيه امرأة سوداء فقال لها رجل هاء الطريق فقالت : إن شاء [أخذ] يمنه ، وإن شاء أخذ يسره ، فقال رسول الله ﷺ : « **دعوها فإنها جبارة فقالوا يا رسول الله إنها تعنى إنها مسكينة فقال ذاك فى قلبها** »[١٣٧] وقال الحسن رحمه الله تعالى : إن أقواماً جعلوا التواضع فى لباسهم والكبر فى قلوبهم ولبسوا مدارع الصوف[١٣٨] ، والله لأحدهم أشد كبرًا بمدرعته من صاحب السرير بسريره ، وصاحب المطرف[١٣٩] بمطرقه[١٤٠] . وقد صح عن النبى ﷺ أنه أنكر أن لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كبر ، وقال : « الكبر (بطر الحق وغمط

=(٤١٣٧) ، والإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (٢٤٣/٢) كلهم عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » .

(١٣٧) الحديث أورده علاء الدين بن حسام الدين الهندى فى كتابه : « كنز العمال » (٤٠٠/١٦) حديث رقم (٤٥١٠٢) وعزاه لإبن عدى عن أنس بن مالك ، وللشيرازى فى كتابه الألقاب عن أبى هريرة .

(١٣٨) المدارع : جمع مدرعة ، وهو نوع من الثياب لا تكون إلا من الصوف خاصة (راجع الصحاح للجوهرى مادة درع) .

(١٣٩) المطرف : بضم الميم وكسرها وهى أردية من خز مربعة لها أعلام .

قال الفراء : المطرف من الثياب ما جعل فى طرفيه علمان . (راجع تاج العروس للزبيدى مادة طرف) .

(١٤٠) أورده ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس إبليس » [مطبعة الجزيره بالقاهرة نسخة مصورة] (ص ١٩٥) عن أبى شداد المجاشعى قال : « سمعت الحسد ــ وذكر عنده الذين يلبسون الصوف ــ فقال : مالهم تعاقدوا ثلاثا ، أكنوا الكبر فى قلوبهم ، وأظهروا التواضع فى لباسهم ، والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه » .

الناس »[١٤١] وهذا تصريح بأن حسن اللباس ليس بكبر ، والكبر)[١٤٢] إنما هو فى القلب ، وهو عدم الانقياد للحق تكبراً عليه وغمط الناس هو احتقارهم وإزدراؤهم ، فمن كان فى نفسه عظيماً بحيث يحقر الناس لاستعظام نفسه ، ويأنف من الانقياد للحق تكبراً عليه فهو المتكبر ، وإن كان ثوبه ليس بحسن ، ونعله ليس بحسن . ومن ترك اللباس الحسن تواضعاً لله وخشية أن يقع فى نفسه شىء من الكبر فقد أحسن فيما عمل ، فقد كان ابن عمر رضى الله عنه يفعل ذلك ، وقول النبى ﷺ فى (الانبجانية) التى لبسها « أنها ألهتنى آنفًا عن صلاتى »[١٤٣] يدل على ذلك .

فصـــل : فى فضـل مقـام العبـودية(*)

ومما اختاره النبى ﷺ مقام العبودية على مقام الملك وقام بين يديه ﷺ

---

(١٤١) حديث أخرجه مسلم (٩٣/١) كتاب الإيمان (١٤٧) ، والترمذى (١٦٤/٨) كتاب البر والصلة كلاهما عن عبد الله بن مسعود .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(١٤٢) [.. بطر الحق وغمط الناس ، وهذا تصريح بأن حسن اللباس ليس بكبر ، والكبر ..] ما بين القوسين المعقوفين ناقص من طبعة المكتبة القيمة ، وفى رأينا أن الكلام لا يـ تمم بدونه .

(١٤٣) حديث متفق عليه . أخرجه البخارى (٧٨/١) كتاب الصلاة ، ومسلم (٣٩١/١) كتاب المساجد (٦٢) ، وكذا أخرجه أبو داود (٤٩/٤) كتاب اللباس (٤٠٥٢) ، وأبو عوانه فى مسنده (٦٥/٢) .

وكلهم رووه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « أن النبى ﷺ فى خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال : إذهبوا بخميصتى هذه إلى أبى جهم وإئتونى بأنبجانية أبى جهم فإنها ألهتنى أنفا عن صلاتى » . وهذا لفظ البخارى .

والحديث يوضح أن الذى ألهى النبى ﷺ ليست هى الانبجانية كما يفهم من كلام ابن رجب الحنبلى ، إنما هى الخميصة التى كان يلبسها رسولنا ﷺ .

ـ والخميصة هى كساء أسود ذو أعلام .

والإنبجانية كساء غليظ لا علم له . وهذا لا يلهى فى الصلاة ـــ والله أعلم .

(*) هذا الفصل وجدته فى النسخة المطبوعة بينما لم أجده فى المخطوطة .

رجل يوم الفتح فارتعد.فقال له «**هون عليك إنى لست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**[١٤٤]» وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال «**لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**[١٤٥]» قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبى زرعة قال : لا أعلمه إلا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «جلس جبريل السلام إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك مهول فقال جبريل عليه السلام : إن هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلنى إليك ربك أفملكاً نبياً يجعلك أم عبداً رسولاً ؟ ومن مراسيل يحيى بن أبى كثير رحمه الله تعالى أن النبى ﷺ قال «**آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد فإنما أنا عبد**» أخرجه ابن سعد فى طبقاته[١٤٦]

(١٤٤) أخرجه ابن ماجه (٢/١١٠٠) كتاب الأطعمة (٣٣١٢) عن أبى مسعود دون يوم الفتح .

قال محقق سنن ابن ماجه : من الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .

والقديد نوع من اللحم هو : ما قطع طولاً وملح وجفف فى الهواء والشمس .

(١٤٥) حديث أخرجه البخارى (٢/٢٥٦) كتاب الأنبياء والدارمى فى سننه (٢/٣٢٠) كتاب الرقائق واللفظ للبخارى . وفيه « فإنما أنا عبده » وليست فى الدارمى . ومعنى الإطراء كما يقول ابن منظور : هو مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه (لسان العرب/ ٢٦٦٩) .

وذلك لأنهم أخرجوا عيسى بن مريم عليه السلام من مقام العبودية والرسالة عن الله إلى مقام الألوهية فهو عليه السلام عندهم إما الله نفسه وإما ابن الله وإما أحد ثلاثة أقانيم ، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على تأكيد بشريته وأنه ما هو إلا بشر رسول أرسله الله لهداية العباد ، وقد جاء الذكر الحكيم بآيات كثيرة تؤكد على عبودية رسول الله ﷺ منها : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً﴾ [الإسراء/ ١] .

و ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب﴾ [الكهف/١] وللمزيد مما فعله أتباع عيسى عليه السلام من إخراجه من مقام العبودية والرسالة عن الله راجع ما كتبه الإمام (أبى الفداء إسماعيل بن كثير المولود ٧٠١ هـ والمتوفى ٧٧٤ هـ) فى كتابه المشهور (قصص الأنبياء) عن قصة عيسى بن مريم ، وميلاده ، وبيان أن الله تعالى منزه عن الولد ، ومنشأ عيسى بن مريم عليهما السلام .

(١٤٦) حديث أخرجه ابن سعد فى طبقاته الكبرى (١/٣٨١) دون قوله « فإنما أنا عبد » عن عائشة رضى الله عنها . =

وخرجه أيضاً من رواية أبى معشر عن المقبرى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : «**أتانى ملك فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت نبياً ملكاً ، وإن شئت عبداً ورسولاً فأشار إلىَّ جبريل عليه السلام تواضع فقلت نبيًا عبداً قالت : فكان النبى ﷺ بعد لا يأكل متكئاً ويقول : «آكل كما يأكل ، وأجلس كما يجلس العبد**»[١٤٧] ومن مراسيل الزهرى رحمه الله تعالى قال بلغنا أنه أتى النبى ﷺ ملك لم يأته قبلها ـ ومعه جبريل عليه السلام ، فقال : الملك ـ وجبريل عليه السلام صامت ـ إن ربك يخبرك أن تكون ملكاً أو نبياً عبداً فنظر النبى ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير ، فأشار إليه أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ «**نبياً عبداً**» قال الزهرى : فزعموا أن النبى ﷺ لم يأكل متكئاً منذ قالها حتى فارق الدنيا . وفى المسند أو فى كتاب الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**عرض على ربك عز وجل أن يجعل لى بطحاء[١٤٨] مكة ذهباً ، فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يومًا ، وقال ثلاثاً نحو**

ـ وقد أورده العجلونى فى كتابه كشف الخفاء (مكتبة التراث الإسلامى بحلب السوريه) (١٧/١) دون قوله : « فإنما أنا عبده » .

وقال : رواه ابن سعد بسند حسن وأبو يعلى عن عائشة ، وفى رواية البيهقى عن يحيى بن أبى كثير مرسلًا بزيادة « فإنما أنا عبد » ورواه (هناد) فى الزهد كما فى ذيل الجامع عن عمرو بن مرة مرسلًا بلفظ : « آكل كما يأكل العبد ، فوالذى نفسى بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً كأساً » .

(١٤٧) حديث أخرجه محمد بن سعد فى كتابه « الطبقات الكبرى » (٣٨٠/١) ـ طبقة دار صادر البيروتية ١٩٦٠ م عن عائشة بنفس السند المذكور بلفظ : يا عائشة لو شئت لسارت معى جبال الذهب ، أتانى ملك ، وإن حجزته لتساوى الكعبة ، فقال : وساق الحديث ....

كما أورده العجلونى فى كشف الخفاء (١٧/١) مقتصرًا على : « آكل ما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » وقال : رواه ابن سعد بسند حسن ، وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

(١٤٨) : البطحاء : مكان متسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار والجمع أباطح .

هذا ، فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت شكرتك »[١٤٩] .

---

(١٤٩) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٢٥٤/٥) ، والترمذى (٢٠٩/٩) كتاب الزهد ، وابن سعد فى « الطبقات الكبرى » (٣٨١/١) كلهم عن ابن أمامة ، وعند أحمد والترمذى : « وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » قال الترمذى : هذا حديث حسن .

يقول لبيد بن أبى ربيعة :

فاعجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد
والله فى كل تحريكة ... وتسكينة أبداً شاهد

ويقول الإمام على كرم الله وجهه :

وكم لله من لطف خفىٍّ ... يدق خفاه عن فهم الزكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ... ففرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحاً ... وتأتيك المسرة بالعشىّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوما ... فثق بالواحد الفرد العلى
توسل بالنبى فكل خطب ... يهون إذا توسل بالنبى

ويقول عمارة اليمنى :

يارب هىء لنا من أمرنا رشدا ... وأجعل معونتك الحسنى لنا مددا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا ... فالنفس تعجز عن إصلاح مافسدا
أنت الكريم وقد جهزت من أملى ... إلى أياديك وجهاً سائلا ويدا
وللرجاء ثوابٌ أنت تعلمه ... فاجعل ثوابى دوام الستر لى أبدا

ويقول أبو نواس :

وليس على الله بمستكرٍ ... أن يجمع العالم فى واحدِ
يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرم

ويقول الشريف الرضى :

لا تخشى من غائلةٍ فوضْ ... إلى الإله القادر العالم
ونم إذا شئت فإن الذى ... يرعاك فيها ليس بالنائم
كم ذا وقى الله بأنطافه ... شر غشوم مجمعٍ عازمِ
وكم أزال الله من ظالمٍ ... وأنصف القاعد من قائمِ

ويقول ابن حمديس الصقلى :

أيارب عفواً عن ظلوم لنفسهِ ... رجاك وإن كان العفاف به أولى
سألتك يا مولى الموالى ضراعةً ... وقد يضرع العبد الذليل إلى المولى
لتصلح لى قلباً وتغفر ذلةً ... وتقبل لى توبًا وتسمع لى فعلا
ولا عجب فيما تمنيت إننى ... طويل الأمانى عند من يحسن الطولا

وقـال العارفـون

دعواه ، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته وقام بمراده وقام بمراد سيده (الله) يكون اسمه ما سمى به ، ونعته ما حلى به ، وإذا دعا باسمه أجاب عن العبودية ، فلا اسم ولا رسم ولا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده وأنشد يقول :

يا عمرو ثارى عند دهرى ∴ يعرفه السامع والـرائى
لا تدعنى إلا بيا عبدى ∴ فإنـــه أصدق أسمائى

وأنشـد الآخـر

مالى وللفقر إلىَّ عاجز ∴ مثلى لا يملك إغنـائى
وإنما يحسن فقرى إلى ∴ مالك إسعادى وإشقائى
أتيته عجباً بانتماء إلى ∴ أبوابه إذ قلت مولائى
لا تدعنى إلا بيا عبدى ∴ فإنـــه أشرف أسمائى

روى الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى فى كتاب [أسماء الصحابة] من طريق الشيخ أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى حدثنى علقمة [بن سويد][١٥٠] بن الحارث الأزدى عن أبيه عن جده يذكر وينقل عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : « جمعت لك حكمتى فى ست كلمات : أعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها ، وأعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها ، وأعمل لله بمقدار حاجتك إليه ، واعمل من المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة ، ولا تسأل إلا من لا يحتاج إلى أحد ، وإذا أردت أن تعصى الله فاعصه فى مكان لا يراك فيه[١٥١] .

(١٥٠) [سويد بن] ما بين المعقوفين فى طبعة المكتبة القيمة ناقص .

(١٥١) كلمات عظيمة المعنى ، رائعة المدلول ، ما أعظم هذه الكلمات لو تفكر فيها الإنسان وتدبر

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : دواء القلوب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء الباطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين[١٥٢] . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فى موعظته حين سألوه عن قوله تعالى : ﴿ادعوى استجب لكم﴾[١٥٣] وإنا ندعوه فلم يستجب لنا . !! فقال لهم : عرفتم الله فلم تطيعوه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به ، وعرفتم

فى معانيها ، ومراميها ، ولن يلقى لها بالا إنسان غافل ملكت الدنيا الفانية حواسه ، وعطلتها عن الفهم الواعى السليم ، والتدبر فى دنياه وآخرته . لن ينتفع بها إنسان أشرب قلبه حب الدنيا وزينتها الخادعة ، وما أحوج مجتمعنا وأمتنا الإسلامية فى ظروفنا الحرجة الحالية إلى آباء مثل لقمان الحكيم يربون أبناءهم على الحكمة والخوف من الله وحده ، والطاعة المطلقة له العلى القدير .

(١٥٢) أورده الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » [طبعة دار الفكر للطباعة والنشر] . (١٠ / ٣٢٧) من قول إبراهيم الخواص وفيه « خلاء البطن وهو الجوع يورث صفاء القلب ، وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة ورقة القلب وصفاؤه الذى به تتهيأ لإدراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر » .

وفى بعض النسخ « خلاء الباطن » بدلا من « خلاء البطن » وكلاهما صحيح فخلاء البطن هو الجوع .

وخلاء الباطن يكون أيضاً من الحقد والحسد والحرص على الدنيا الفانية ، وذلك يجعل القلب حياً متيقظاً لتقبل العلم والإنفعال به .

وفى الحسد أقوال كثيرة نذكر منها ما قاله على بن عرقلة الكلبى :

وذر الحسود ولو صفا لك مرة ... أبعده عن رؤياك لا يستجلب
بكى لى حاسدى ميتا وأدرى ... بضحك فؤاده بين الضلوع
وأكذب ما يكون الحزن يوما ... إذا كان البكاء بلا دموع

ويقول ابن المعتز :

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

ويقول أبو الاسود الدؤلى :

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدا وبغضاً إنه لدميم
وكذاك من عظمت عليه نعمة ... حساده سيف عليه صرّوم
وترى اللبيب محسّدا لم يجترم ... شتم الرجال وعرضه مشتوم

(١٥٣) غافر : ٦٠ .

الشيطان فوافقتموه ، وادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم سنته ، وادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها ، وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب ، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له ، واشتغلتم بعيوب غيركم ولم تنظروا إلى عيوبكم ، وتأكلون رزق الله ولا تشكرون ، وتدفنون أمواتكم ولا تعتبرون[١٥٤] . فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضيه عنا برحمته [ويختم][١٥٥] لنا بخير آمين ... إنه أرحم الراحمين رب العالمين ، وصلى الله تعالى على خاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وحسبى الله عليه وتوكلت ونعم الوكيل[*] .

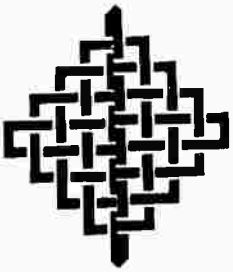

---

(١٥٤) ذكر الإمام الغزالى هذا الخبر فى كتابه إحياء علوم الدين (٣٨/٣) عن إبراهيم بن الأدهم وفيه أنها ثمان خصال .

وإبراهيم بن أدهم صوفى جليل ، نشأ فى مدينة بلخ ، فى بيت عز وثراء ، ولكنه انصرف إلى الزهد والتصوف بعد فترة دراسة وتأمل فى بغداد ، ووهب ثروة أبيه لغيره ، كما اشترك فى حملات الجهاد الإسلامى ضد الروم وتوفى فى إحداها حوالى عام ١٦٦ هـ (٨٧٣ م) .

(١٥٥) [ويختم] ناقصة فى طبعة المكتبة القيمة .

(*) إلى هنا ينتهى تحقيقنا لكتاب الخشوع فى الصلاة لابن رجب الحنبلى والحمد لله أولاً وأخيراً

فهرس الكتاب

الموضـوع	الصفحـة
● حى على الصلاة ، حى على الفلاح	٥
● واقعنا من المسئول عنه ؟ !	٦
● كتاب يخدم الهدف	٧
● الحـل ..... !! ...	٨
● مسلمون والله أعلم	٨
● كلمة حق	٩
● حتى تقرعهم القوارع	١١
● سيرة ابن رجب الحنبلى	١٣
● المولد	١٣
● النشأة وطلب العلم	١٤
● أهم مؤلفات ابن رجب	١٥
● منهجنا فى تحقيق الكتاب ...	١٧
● نص كتاب الخشوع فى الصلاة	١٩
● خطبة ابن رجب	٢٣
● طوبى للمنكسرين	٢٧
● أصل الخشوع ...	٢٨
● خشوع القلب	٢٩
● وصول الخشوع إلى الأعضاء ..	٣١
● أين بعيث يا الله ؟ ! ...	٣٢

- الصبر والرضا .. ٣٧
- الخشوع والعلم النافع ... ٣٨
- وتصدع الجبل من خشية الله ... ٤٢
- الخشوع والخاشعون ... ٤٨
- هذه كفارة الذنوب ... ٥١
- طهارة وخشوع القلب ٥٢
- إحذر أن يختلسك الشيطان ... ٥٥
- السجود خشوع ... ٦٣
- فى أنواع العبادات التى يظهر فيها الخضوع ... ٦٥
- فى معنى «المساكين» ... ٦٩
- فى فضل مقام العبودية ... ٧٢
- وقال العارفون ٧٦
- فهرست الكتاب ... ٧٩

رقم الإيداع ٨٩/٧٥٤٢